روايات عبير الجديدة

ازوكاوود

القيود

www.elromancia.com
مرموزية

٢٠٠

روايات عبير الجديدة

www.elromancia.com

القيود

فيفيان فتاة في الثانية والعشرين من العمر، من أم عربية وأب اجنبي. توفيت والدتها وبقيت وحيدة والدها، وبعد مرور سنوات على زواجه فقد اصبح لها ست شقيقات جميلات، ولكنهم ليسوا بجمالها. عندما تعرفت على طارق الشاب الأسمر الجميل العربي الذي يحمل في وجهه جمال الصحاري والواحات، يعيش في اليمن، وهو كاتب مشهور احبت كتبه وتعلقت بها مما دفعها للتعرف عليه ولكن؟!! هل ستنجح في مقاومة جماله العربي، ان في دمها دماء عربية هل ستربطها بهذا الرجل وما هو مصيرها في بلاد لا تعرف تقاليدها وقوانينها الصارمة تجاه المرأة هل تستطيع الاستمرار معه والمفاجأة الكبيرة التي تصادفهما هل ستدعهما يستمران بحياتهم.

الفصل الأول

جلست فيفيان على رمال الشاطىء تنظر الى غروب الشمس بعيون حزينة دامعة، لقد كانت هذه هي المرة الاولى التي تأتي لوحدها الى هذا المكان، لم يكن جمال الافق ورونق اللون القرمزي كافيان لينتشلانها من افكارها وآلامها، جلست وهي تحضن بكفها كومة من الرمل تضغط عليها تارة وتارة تحررها، وكأنها غاضبة من الارض وما عليها، ومصرة على الانتقام من القدر الاليم الذي جمعها مع طارق، وفرقهما الى الأبد، عندما تذكرت تلك العيون الدافئة وصمتها بين ذراعيه تدفقت بنهرين غزيرين من الدموع الساخنة المليئة بالشوق العاصف ليطرق ابواب الحب في انحاء الكرة الأرضية، ويستأذن السماح والولوج الى اعماقه والرجوع الى الماضي الى اليوم الذي التقت به.

فيفيان فتاة خلوقة تتمتع بجميع الصفات التي تخولها لأن تكون الفتاة المثالية بين شقيقاتها الستة، لقد كانت تضج بالحيوية والنشاط والابتسامة الدائمة، حنونة امام الجميع تحب برفق وتعشق الازهار لم يكن جمالها انكليزياً ولا فرنسياً، لقد كانت تتمتع بجمال عربي اصيل، تحمل على رأسها تاج من الشعر

الاسود الداكن الناعم الملمس والعينان السوداوين تحمل سر وقوة العاصفة وسواد الليل وبياض النهار اي عيون واسعة سوداء وبياض شديد حولها.

الشقيقات الستة لم يكن بجمالها لقد كانت فيفيان الفتاة البكر لعائلتها وهي صاحبة الرأي والفتاة المطيعة دائماً، كانت تتمتع بروح الحكمة والنصيحة الصائبة كانت الساعد الأيمن لوالدها، الذي احبته بأعماقها وتعلقت به كثيراً، كما ان والدها كان يفضلها على شقيقاتها، فهي من ام عربية احبها والدها حباً كبيراً، وكانت قصتهما عاصفة ومؤلمة لقد تزوجها بغير رضا اهلها وجاء بها الى قبرص، وكانت فيفيان باكورة حبهما، ومع مرور سنة على ولادتها فقدت الام بصرها بسبب عملها المستمر والمؤلم في مختبر للمواد الكيماوية السائلة، فقد اصابتها رائحة من تلك المبيدات المميتة ولم تكن ترتدي قناعاً واقياً مما سبب تغلغل تلك المواد الى عينيها ليفقدها البصر تماماً لم تتحمل والدة فيفيان هذه الآلام وضعفت مما انحلها واصبحت غير قادرة على الاستمرار في العيش فودعت الحياة وهي تحتضن طفلتها الصغيرة.

بقيت فيفيان تحت رعاية جدتها لأن والدها ملتزم بالسفر وهكذا تعرف على انطوانيت وتزوجها ورزق منها ست بنات جميلات خفيفات الظل مما اضطر بفيفيان للعيش مع زوجة اب ولكنها كانت سعيدة معهم لقد كانت الفتاة السابعة المطيعة والساعد الأيمن لزوجة ابيها ايضاً، انما والدها كان يعاملها بشكل خاص ويوليها كل اهتمامه لأنها حبه الراحل والدائم ابداً.

انهت فيفيان دراستها العليا والتحقت بمعهد قبرص للكمبيوتر واتقنت البرمجة وادخال المعلومات. والطبع عليه، واستلمت

وظيفتها في مركز للصف الطباعي الالكتروني.

مارست وظيفتها بحب واتقان تعلقت بها كثيراً، مما ساعدها على ملء فراغها بالعمل الدؤوب، كانت صديقاتها في تلك المؤسسة يحترمونها ويحبونها ولكنها لم تختلط معهم كثيراً لأن كل واحدة منهم لها حياتها الخاصة، وصعب الاتصال بهن.

ذات يوم وبينما هي جالسة امام جهازها سمعت اسمها على الانترفون.

«آنسة فيفيان الى المكتب من فضلك».

ابعدت الكرسي ووقفت جامدة، وتساءلت «ما الامر يا ترى»، توجهت نحو المكتب، وكان المدير رجل بين الخمسين والثانية والخمسين من العمر دخلت وهي تلقي تحية رقيقة.

«نعم حضرة المدير».

«اقتربي يا فيفيان» اقتربت فيفيان من المكتب.

«اجلسي ارجوك» جلست مقابل رجل في العقد الثلاثين من العمر، لم تنظر اليه كفاية كي تميزه كانت نظراتها نحو الطاولة الصغيرة الموضوعة امامها.

«هذه آنسة فيفيان سيد طارق، ارجو منك ان تعطيها التعليمات الكاملة حول بحثك وكيفية عمله فهي ستساعدك حتماً لكي يكون كتاباً انيقاً، انها الفتاة الأولى في شركتنا».

«شكراً سيدي» قالت له فيفيان بنعومة.

«حسناً متى استطيع البدء معك ايتها الآنسة» سألها السيد الاسمر.

«عندما يأمر سيدي المدير» اجابته فيفيان بتأنٍ.

«حسناً يا فيفيان يمكنك البدء من الآن، ارجوك يا سيد طارق

تفضل مع الآنسة الى مكتبها وهناك تضعان الملاحظات التي يجب استخدامها والاشياء التي يتم حذفها حسب رغبتك».

«شكراً» وتقدم نحو فيفيان بخطى ثابتة، وقال لها.

«هل انت جاهزة يا آنسة».

«تفضل يا سيدي» اجابته فيفيان بصوت مهذب رقيق.

دخلا الى المكتب وجلست على كرسيها بحذر، كان السيد الاسمر ينظر اليها بنظرات فضولية متفحصة مما اربك فيفيان كثيراً قالت له.

«تفضل يا سيد طارق».

امسك السيد الاسمر الطويل القامة بالملف الذي بين يديه وفتحه ووضع الأوراق امام فيفيان واقترب منها مشيراً الى بعض الكتابات الكبيرة بالخط الاحمر وهو يقول.

«جميع هذه العناوين التي بالاحمر اريدها عناوين كبيرة، وكل ما تحته خط ضمن النص يكون اسود، ومن ثم ارجو الانتباه لفقدان الاوراق يا آنسة لانني غير مستعد لأن افقد اي ورقة من هذا الملف» قال لها محذراً وكأنها لأول مرة تستلم كتاب وليس لها الخبرة الكافية.

انزعجت فيفيان من هذه الملاحظة مما اربكها جداً نظرت اليه بحنق وقالت.

«سيد طارق ان واجبي هنا يحتم علي المحافظة على عملي وتحمل المسؤولية الكاملة لأي عمل اقوم به فليس من الضروري ان تحذرني من فقدان الاوراق فالمسؤولية هنا تقع على عاتقي وواجبنا ان نساعد الكاتب وليس ان نعرقل عمله».

«حسناً ايتها الآنسة انا متأسف» ثم اضاف وهو ينظر اليها بعينين

فاحصتين.

«هل استطيع ان ارى انواع الاحرف الموجودة في جهازكم؟».

«حسناً» قامت فيفيان وأتت بلائحة مصورة لجميع الاشكال والاحجام التي تبرمج على الجهاز لتعطي العناوين المطلوبة.

«تفضل سيدي».

«شكراً لك، هل استطيع ان استعمل هذا الحرف؟».

«بكل سرور يا سيدي».

«وهذا الحجم».

«نعم سيدي».

«والمسافة الطولية للصفحة هل استطيع ان استعمل هذا القياس؟».

«القرار يعود لك سيدي».

«الا تلاحظين بأنك لا تعطيني رأيك جيداً ولا حتى بأمر واحد، انت لا تقولين الا نعم سيدي، حاضر سيدي، لا بأس سيدي، الا تريدين ان تعطيني رأيك بكل صدق ووضوح؟».

«نعم ولكن القرار يعود لك بالنهاية».

«لا بأس برأيك، اليس لديك الخبرة في طباعة الكتب الشعرية؟»:

«نعم، وجميع الكتب ايضاً، منها العلمية والمدرسية والمجلات والابحاث للجامعات كل هذا من اختصاصنا سيدي».

«المعذرة يا آنسة، هل اطلب منك بأن لا تناديني بسيدي، ارجوك؟».

«لا استطيع لان عملي يحتم علي احترام الزبون يا سيدي».

«حسناً كما تريدين، ولكن ارجوك قللي من كلمة سيدي قدر

المستطاع».

«حسناً» قالت له وهي تبتسم بلطف.

«يا آنسة» سألها.

«نعم» قالت له وهي تنظر الى الكتاب الذي بين يديها.

«انا أؤمن بخبرتك في العمل، وبما انني لا استطيع ان اراقب كتابي وكيفية طبعه وليس عندي الوقت هل توافقين ان تستلميه انت حسب رغبتك تضعين الحرف والعنوانين، كما تريدين؟».

«اذا كنت تفضل ذلك، فهذا جيد ايضاً، انا استطيع ذلك».

«حسناً سأترك لك الخيار في كل شيء».

«حسناً».

«كما ان هناك كتاب ثاني تابع لهذا الكتاب وهو الجزء الثاني وسوف اجيء به في المرة القادمة، ولكن الآن باشري بهذا ليكون كبداية لتعاملنا».

«حسناً سيدي».

نهض من مكانه وتوجه نحو الباب خارجاً وهو يضرب لها موعداً لمراجعة الكتاب والقاء نظرة عليه وللإجابة على بعض الاسئلة اذا كانت هناك اية مصاعب فيه، ثم وافقته على مرور اسبوع ثم يكون الكتاب جاهزاً للتصحيح.

خرج طارق بقامته الطويلة ولكن بخروجه كانت فيفيان تراقبه بنظرات انثوية شيقة مما دفعها الى السير خلفه على مهل وهي تتبعه بنظراتها وبمروره من امام مكتب صديقاتها، توقفت جميع الاجهزة عن العمل بتوقف اصابع الفتيات عن الضرب والتفاتهم اليه بنظرات مشدودة وهم يتساءلون عن هذا الرجل الغريب الذي يملأ الارض وراءه تساؤلات واجابات غير واضحة، وبعدما غاب

عن الانظار التفتن نحو فيفيان وبعيونهم مئات الاسئلة الفضولية مما دفعها الى القول وهي تشير بيديها علامة عدم المعرفة والاستغراب.

«لا شيء، لا اعرف شيئاً سوى ان اسمه السيد طارق، هل هذا يسد جوع فضولكن».

ضحكت الفتيات لتسرع فيفيان في تبرير معرفتها بهذا السيد مما ادخل الى قلوبهن السلوى.

www.elromancia.com

الفصل الثاني

اخذت فيفيان الكتاب بين يديها وبدأت بالقراءة، اولاً المقدمة، امسكت القلم الى جانبها واخذت بوضع الملاحظات... ثم العناوين، وهذه الرسومات حسناً هذا جيد... اكتفت بهذه الكلمات وبدأت بقراءة الصفحة الاولى كانت المقدمة تحتوي على اهداء من الكاتب الى كل قارىء، كان كتاب شعر غزلي ووصف للمرأة العربية باللغة العربية ومترجم الى اللغة الإنكليزية كانت فيفيان ملمة باللغة العربية بشكل متقن مع كسر ولدغ في اللفظ بسيط مما يزيد من جمال لفظها وذلك يعود لفضل والدتها التي علمتها اصول اللغة العربية الى جانب لغتها الأصلية الانكليزية، هكذا كانت فيفيان متفوقة بين اصدقائها في المكتب، فقد كانت الوحيدة القادرة على مساعدة المدير في جميع الامور والترجمات والمقالات العربية التي تأتي من الدول العربية لترجمها وتنزل بالمجلات احياناً، هذه اللغة كانت مصدر سعادة لفيفيان... لقد كانت اللغة الاحب الى قلبها بالاضافة الى الانكليزية، كانت تشكر امها على منحها اياها لانها في بعض الاحيان تكون سبب موردها وعيشها فهي عادة في المساء وبعد

العشاء تأخذ بترجمة بعض الكتب الاجنبية الى العربية ومن العربية الى الاجنبية، كانت تجد متعة خاصة في هذا العمل، فهي مثابرة عليه وتتقنه.

ولكن عندما نظرت في الصفحات الاولى وقرأت المعاني والكلمات التي تتضمنها هذه الأسطر انبهرت لجمال تلك الكلمات وروعتها في وصف المرأة العربية والغزل النابع من قلب الصحراء ومن ثم تشجعت على المثابرة المتواصلة للبدء في طبع هذا الكتاب لأنها كانت بشوق لمعرفة وقراءة ما يتضمن من جمال البلاد العربية ونساءها ورجالها واطفالها كانت تحب ان تعرف كل ما يتعلق بتلك البلاد وتقاليدها وذلك يعود لحبها لوالدتها وحديث والدها عن جمال الصحراء ورونق البادية والمدن والتقاليد العربية العريقة.

باشرت فيفيان بالطباعة وكلما انتهت من صفحة كانت هناك قوة خارقة تشدها في قراءة وطبع الورقة التالية، وهكذا كانت هذه الفتاة التي تحمل دماءها لون من الوان البادية وجمال المرأة العربية بشوق لمعرفة المزيد، وتأكدت عند ذلك من ان السيد طارق فارس عربي جاء من الصحراء الى بلادهم لكتابة الكتب والروايات.

اعجبت بكتابه لدرجة العشق به، وكانت تقرأ الكلمات مئات المرات وكأنها تحفظها في ذاكرتها لتعيد قراءتها بينها وبين نفسها لقد احبت ذلك الكتاب بمشاهده وصوره ووصفه للبلاد العربية الخلابة.

وتمنت ان يكون لديها نسخة منه. عند انتهاءه قدمته الى مدير الشركة لكي يعلم السيد طارق بانتهائه.

في يوم مشرق جلست فيفيان الى مكتبها تراجع بعض الملفات وفجأة وجدت رجل اسمر طويل القامة اسود العينان وبشرة حمراء لوحتها شمس الصحراء، انه لم يكن سوى السيد طارق واقفاً بقامته امام مكتبها واضعاً يده على طرف الطاولة، ثم اردف قائلاً.

«كيف عساني اشكرك ايتها الآنسة» قال لها ذلك بلهجة الانكليزية مكسرة ولكنها جيدة بالنسبة لرجل عربي، للحظات صمتت فيفيان ولم تستطيع ان تقاوم جاذبية هذا الفارس الغامض بوجهه الجميل، للحظات شعرت بأنه استحوذ على نظراتها، حتى لم يعد هناك مكان للنظر في انحاء جسده.

لقد كانت نظراتها تملؤه تأملاً... وللحظات انتبهت انها استغرقت طويلاً في الاجابة. نظرت الى الأوراق التي الى جانبها بعدما لاحظت بأنه شعر بها وبنظراتها له... ابتسمت شفتاه الصغيرتان بابتسامة صافية رقيقة خالية من الخشونة التي كان جسده يتمتع بها...

«تفضل سيد طارق».

جلس مقابلها وهو ما يزال يكشف عن اسنانه البيضاء بابتسامته الرقيقة مما اخجل فيفيان وجعل خداها تحمران خجلاً، لاحظت مدى تجاوبها مع هذا الرجل او مع هذا الفارس القادم من بعيد.

«هل اعجبك التصميم العام للكتاب سيدي؟».

سألته وهي لم تستطيع مقاومة عدم النظر اليه، اجابها وهو ما يزال يحتفظ بتلك الابتسامة التي تفيض على وجهه جاذبية خلابة.

«رائع حقاً، لقد احسنت لم اكن اتصور بأنه سيكون بهذه الاناقة والفن الواضح والجمال في الخطوط والعناوين، حتى انني انا لم اكن قادراً على تصميمه لو تركت الامر لي، انت فعلاً ماهرة

ولديك الخبرة الكافية».

«شكراً سيدي، انه واجبي».

«ان هذا العمل يدفعني لأقدم لك هدية صغيرة تكون عربون عن مدى تقديري».

«شكراً يا سيدي ان هذا من دواعي سروري، اذا كان ولا بد من هدية فأنا اتمنى ان تكون نسخة من هذا الكتاب تكون موقعة باسمك اذا اردت».

«حسنا اذا كان هذا يفرحك، فور الانتهاء من طبعه ساتيك بواحدة منها».

كانا يتبادلان الاحاديث باللغة الإنكليزية مع ان فيفيان كانت تتقن اللغة العربية بشكل جيد ولكنها لم تتكلم معه عربياً لأن هناك كسر في كلامها احياناً واختفاء لبعض الحروف مما اخجلها ان تبادره بلغتها وبناء على ذلك لم يكن يعرف بأن فيها دماء عربية تجري في عروقها.

خرج الفارس الاسمر وهو يرمقها بنظرات شفافة رقيقة وكأنه يستهزأ منها.

وكذلك الامر عندما يدخل هذا الفارس ويمر امام الفتيات كن يسرحن به وعندما يخرج كذلك الأمر، مما اضحك فيفيان عند رؤيتهن على هذا الشكل.

بعد عدة الأسابيع جاء السيد طارق الى مكتب المدير واراد رؤية فيفيان عندها طلبت على الانترفون من مكتبها ولكنها لم تكن موجودة ولذلك لم تسمع، مما اجبر السيد طارق للمجيء الى مكتبها... وعندها وجدها في المكتب المقابل لها تتحدث مع احد الموظفين اقتربت عندما شاهدته... نظر اليها نظرات

اعجاب لأنها كانت ترتدي ملابس جميلة جداً تكشف عن ساقين برونزيتين بسبب تلك التنورة القصيرة اما الجاكيت الجلد السوداء كان تزيدها غموضاً واشراقاً اقتربت منه وهي تمد يدها لتسلم عليه ولكنه لم يبادلها المصافحة، تعجبت وكأنه لا يريد ان يسلم عليها واعتذر بقوله.

«المعذرة يا آنسة، في بلادنا لا يستطيع الرجل ان يسلم على المرأة الا اذا كانت زوجته او شقيقته او والدته او اي امرأة حلال له، المعذرة مجدداً يا آنسة».

لم تتفوه بكلمة واحدة لأن هذا الامر كانت قد علمت به من قراءتها للكتاب الذي يشرح التقاليد العربية.

تقدمت امامه ووضعت يدها على الكرسي مشيرة له بالجلوس، جلس السيد طارق وهو يفتح رزمة ملفوفة ليخرج منها كتاباً ويقدمه لها وهو يقول.

«تفضلي يا آنسة، هذه نسخة من الكتاب والامضاء الخاص موجود على الصفحة الأولى، وارجو ان ينال اعجابك هذا الغلاف».

واشار بيده على الغلاف الملون... اقتربت فيفيان وادنت رأسها نحوه ونظرت اليه بعدما اخذته من بين يديه بلهفة، واخذت تتمتع به بشغف..

«اوه، ما اجمله، انه فعلاً رائع».

لقد كان الغلاف يتمتع بجميع الوان الصحراء فقد رسمت بشكل تصويري خلاب، اعجبت فيفيان مما دفعها الى السؤال.

«هل ستباشر بكتابة واحد آخر سيدي».

«نعم».

«هل لي ان اعرف عن ماذا سيتحدث كتابك الجديد؟».

«بالطبع آنستي، انه يشكل لوحة رائعة عن وصف المرأة العربية ووصف كامل عن طريقة عيشها ولباسها وتقاليدها اما الباب الاهم فيه هو الشعر الغزلي الجميل، كنت اتمنى لو كنت تعرفين جيداً القراءة العربية فهي تساعد على فهم المحتوى الاجمالي للوصف، وتعطي الجمال للكلمات ويستطيع المرء ان يستمتع بقراءته، ولكن الترجمة الى اللغة الانكليزية تخفف من وقعها على الأذن واللفظ، والمعنى يصبح اضعف واقل عمقاً».

قال لها هذه الكلمات وهو ينظر اليها بشكل عشوائي، ويتفحصها من اعلى الى اسفل، مما دفعها الى القول بشكل سريع.

«ولكني اعرف ما تعني الكلمات يا سيدي انها رائعة جداً... انا... انا اتقن اللغة العربية جيداً واعرف القراءة والكتابة ايضاً، ولهذا اعطاني المدير كتابك لاقوم بطبعه لأنه يعرف بأنني قادرة على فهم محتواه دون صعوبة ان لغتي العربية هي احب لغة عندي الى جانب الانكليزية».

قالت له وهي تسرع في كلامها، ثم اضافت.

«انا احب قراءة اعمالك الكتابية، انها جميلة، وتذكرني بأشياء احبها كان ابي يخبرني عنها عندما كنت طفلة».

«عذراً يا آنسة، ولكن كيف لك ان تتقني اللغة العربية، وانت آنسة انكليزية لا تمت لك العربية بصلة؟».

«كلا يا سيد طارق، انا ولدت في انكلترا ولكن والدي تزوج سيدة عربية اصيلة من تونس، فكنت انا البكر لديها، وهكذا كانت والدتي تعلمني اللغة العربية، والكتابة والنطق الجيد مع انني

اكسر في بعض الكلمات».

عند هذه اللحظة انفرجت شفتاه عن ابتسامة مذهلة وهو يحدثها باللغة العربية الأصيلة، ضحكت ضحكة طويلة، وهي تقول له.

«حسناً هل تريد ان نتحدث بالعربية، لقد مر زمن طويل ولم اتحدث مع احد بلغتي الخاصة وكنت اتمنى ان اجد اي انسان يساعدني على النطق بها فمنذ موت والدتي وانا في الثالثة عشر من العمر تقريباً لم يحدثني احد بها سوى والدي كان قليلاً ما يسامرني مساءً ليذكرني بوالدتي».

«اني آسف من اجل والدتك».

«لا بأس يا سيد طارق».

«ان الكتاب المقبل سيحمل عنوان «عيون صحراوية» هل يعجبك هذا العنوان».

«نعم انه فعلاً جميل، كنت اود ان ازور تلك البلاد وخاصة البلاد التي تنتمي اليها والدتي، كنت دائماً احلم بالصحراء والبادية والمدن المليئة بالبائعين والنساء التي تخفي اجسادها خلف وشاح خاص بهن كانت تجذبني تلك البلاد التي كانت والدتي دائماً تحدثني عنها كنت اتمنى ان ازورها من كل قلبي».

«ربما استطيع ان احقق لك هذه الامنية اذا كنت تستطيعين السفر سأكون انا دليلك في تلك البلاد».

«لا اعلم ربما سيأتي يوم ويكون لي فيها قدم».

«اذاً الكتاب المقبل سوف اخصص عدة صفحات لك».

قال لها وهو يتفحص عيناها السوداوين.

«لماذا يا سيد طارق».

«لا اعلم ربما لاكتب شعراً جميلاً يتحدث عن عينيك الرائعتين

انهما يشدانني لأن اكتب من الآن، ان فيهما سحر عميق».

احمرت خدا فيفيان وغمر الخجل ما يحتوي وجهها من احمرار واطرقت بعينيها الكبيرتين وهي تخبىء اجمل ابتسامة لم تطلقها منذ زمن.

«انا على موعد اذاً مع الكتاب الجديد».

قالت له بجرأة كافية لتظهر للسيد طارق مدى نضوجها الانثوي، استأذن منها وودعها ولكنه توقف قليلاً امام الباب وامال رأسه نحوها وسألها.

«هل تستطيعين ان تكوني دليلي السياحي غداً آنسة فيفيان انا بحاجة لمن يرافقني في جولتي حول الاماكن الاثرية هنا اتمنى ان تكوني مستعدة؟».

«عظيم هذا يشجعني على الاستمرار في النطق بالعربية وانا بحاجة الى معلم ماهر ليساعدني على اتقانها جيداً».

«اذاً اتفقنا».

«اتفقنا» اجابته برضى تام.

«الى الغد في الساعة الحادية عشر اين سأراك».

«عند المركز السياحي الرئيسي في الساحة البيضاء ما رأيك؟».

«حسناً الى الغد اذاً».

ورمقها بنظرة ساحرة جعلت اوصالها ترتجف من تأثيرها، لقد احست به وخاصة تلك الشفاه السمراء عندما تبسم.

الفصل الثالث

استعدت فيفيان في المساء لتحضير ملابسها التي سترتديها في الغد، بينما هي على هذه الحال دخلت شقيقتها الوسطى وجلست الى جانبها وهي ترمقها بنظرات التساؤل.

«الى اين انت ذاهبة غداً، اراك تعتنين جيداً بهندامك، لعله موعد غرامي؟».

احست فيفيان انها فعلاً قد زادت من اهتمامها بلبسها وطريقة تحضيره وكأنها على موعد غرام، ابتسمت قائلة.

«كلا يا حبيبتي، انه موعد عمل، عمل فقط».

«حسناً ولكن لا تتأخري فغداً هو عيد ميلاد الصغير رين ويجب ان نجتمع جميعنا هناك لأن هذا مهم بالنسبة لوالدي الا تعتقدين ذلك؟».

«انا اعلم هذا ولن اتأخر سأكون على العشاء بالتوقيت الصحيح».

«ارجو ان لا تتأخري يا حبيبتي».

كان رين الطفل الصغير لشقيقتها الصغرى لقد كانت جميع شقيقاتها متزوجات ما عدا الوسطى لقد كان هناك اثنان في البيت

فيفيان ونور، لقد اطلق اسم نور على شقيقتها تيمناً باسم والدة فيفيان، كانا على اتفاق تام مع بعضهم البعض، لقد كانت الشقيقات يتمتعن بمنزل زوجي واطفال وسعادة كاملة.

عند الصباح كانت اشعة الشمس تتسرب خيوطها عبر النافذة لترسل اشعتها على جسد فيفيان وهي نائمة على السرير بروبها الابيض وشعرها المنسدل على الوسادة بحرية ونعومة.

نائمة وكأنها ليست كذلك فعيناها لم تغمض مع انها تغط بالنوم العميق وذلك يعود لتلك العينين كالغزلان فجفونها نصف مغمضة، مما يزيدها اشراقاً وسحراً خلابين.

تململت فيفيان في احضان السرير الدافىء وانقلبت على ظهرها ممسكة بالشرشف الوردي الذي يغطي جسدها النحيف امسكت به، وشدته الى الاعلى وغمرت رأسها بالوسادة وهي تتنشق عبير الصباح وتثاءبت كالاطفال وجلست في سريرها وهي تلقي بعينيها عبر النافذة الكبيرة المطلة على حديقة غناء مزركشة بالزهور على الجانبين، مما دفعها للوقوف امامها والنظر الى السماء الزرقاء، كان الطقس الربيعي رائع وخلاب يشجع على الخروج الى الطبيعة والتمتع بروائح الاعشاب والزهور في تلك السهول الواسعة.

وضعت الروب عليها وخرجت الى المطبخ اقتربت من الفرن واوقدت على القهوة، ارادت ان تقوم باعدادها قبل اي شيء لوالدها قبل ان يعود من الحديقة، فهو يستيقظ صباحاً ليقوم باعمال الحديقة كاملة ومن ثم يأتي الى المطبخ ليصنع القهوة بنفسه، ولكن فيفيان كانت تصنعها له في ايام العطل والآحاد وتأتي بها الى الحديقة ويتناولونها سوياً بالاضافة الى شقيقتها نور

ثم يتحدثان عن امور تلك الجنة الصغيرة التي يهتم بها.

ولكن في هذه المرة كانت فيفيان مستعجلة فشربت القهوة بسرعة واعتذرت من والدها للخروج قامت الى غرفتها وفتحت الخزانة وارتدت الملابس التي اختارتها بالامس وهي عبارة عن جينز معرق والقميص البني وارتدت فوقهما الجاكيت الشاموا البنية ايضاً وادخلت في قدميها البوتين الكاوبوي الرائع، ووضعت تلك القبعة التي تجعل منها اميركية من الارياف التقطت جدائلها وارختهم بشكل عشوائي، واخذت المشط وراحت تسرح شعرها وهي تبدأ من رأسها ممسكة بخصلات شعرها الاسود وحتى تنتهي عند اطرافه التي بمحاذاة سيقانها، كانت مغرورة بشعرها الطويل ومحتارة كيف ستعطيه الرونق الذي هو بحاجة له. اخذت ترفعه ثم تجدله وبعد حين رست على ان تتركه منفرداً حراً على كتفيها وظهرها، ووضعت بعض الماكياج الناعم الخفيف على وجهها البرونزي، ثم رمت بالقبعة على رأسها بطريقة عفوية ووضعت عطرها الخفيف الناعم، وامسكت بالحقيبة الجلدية بكتفها واستدارت امام المرآة عدة مرات فرحت لأنها تبدو مشرقة في هذا النهار ولكنها تذكرت بأنها لم تضع احمر الشفاه فأمسكت بواحد لونه زهري لامع ومررته على تلك الشفاه الجائعة الممتلئة التي تضج بالأنوثة.

عندما شعرت بأنها جاهزة استدارت من جديد ولكن هذه المرة للخروج في رحلتها الصغيرة.

وقع نظر نور عليها وشهقت من الدهشة وهي تقول لها.

«ما هذا يا فيفيان، تبدين وكأنك مراهقة صغيرة».

«حسناً هذا ما اريده».

قالت لها فيفيان والابتسامة على ثغرها.

«لقد مضى زمن طويل وانت لم ترتدي هذه الملابس لماذا الآن اراك تستعملينها؟».

سألتها نور بلطف ومحبة ظاهرة وهي تتأملها باعجاب.

«لا اعلم لقد احتجت ان ارتدي شيئاً لطيفاً اميركياً جداً».

«حسناً لا بأس، فأنت تبدين رائعة ومشرقة اليوم، اتمنى لك يوماً سعيداً».

وطبعت قبلة صغيرة على وجنتيها وهي تغلق الباب خلفها.

صعدت فيفيان في سيارتها الصغيرة الحمراء اللون وسارت على الطريق المؤدي الى الساحة البيضاء للقاء الفارس العربي، السيد طارق.

اخذت تدور في تلك السيارة الحمراء في الساحة الكبيرة وهي تنظر شمالاً ويميناً تبحث عن طارق، ولكنها لم تجد احد انتظرت عشرة دقائق واوقفت السيارة في مرآب قريب ثم عادت الى تلك المنطقة ولكنها باءت بالفشل مرة ثانية، انتظرت قليلاً بقلق، ومن ثم نفذ صبرها ثم عادت الى المرآب ثانية وقبل ان تعود استدارت في الساحة البيضاء لآخر مرة لعلها تجده وفجأة وجدت شاباً اسمر اللون يركض من بعيد ويتخطى السيارات بشكل جنوني وكأنها ستدوس عليه قفز من رصيف لرصيف، وهو ينظر شمالاً ويميناً وعندما اقترب كثيراً منها رأته وعرفت انه السيد طارق... اطلقت زمور السيارة عدة مرات باتجاهه... ولكنه لم يلمحها مما دفعها الى الاقتراب اكثر بسيارتها الصغيرة، وعندها لاحظ بأن هناك سيارة تلاحقه وتطلق صوتاً مزعجاً التفت ولم تكن سوى فيفيان... ابتسمت له ثم دنا منها وهو يرمقها بنظرات

التساؤل... اشارت له بأن يتجه نحو الباب للصعود الى جانبها... فعل ذلك وهو ينظر اليها بعينين واسعتين مبتسمتين...

صعد السيد طارق... ملقياً التحية عليها...

«نهار سعيد آنسة فيفيان».

«نهارك اسعد سيد طارق... لماذا تأخرت، لقد كنت على وشك الانصراف».

قالت له وهي تبدي علامات الانزعاج على وجنتيها... اعتذر بصوت خافت محاولاً ان يخفف من تسارع انفاسه.

«اني اعتذر يا آنسة، لقد كنت انتظر مخابرة ضرورية من تونس وتأخرت كثيراً مما اضطرني للاتصال من جديد بهم لان الامر ضروري، صدقيني».

«انا اصدقك، لقد كان تسرعك في المشي وانت تخطو هكذا والسيارات تكاد ان تصدمك كافياً لتعبر عن مدى اهتمامك بهذه الرحلة الصغيرة».

«اني اكرر اسفي آنسة فيفيان».

«حسناً».

اجابته وهي تدير المقود للعودة الى الطريق الرئيسي المؤدي الى المتحف الوطني في الساحة البيضاء ثم اضافت.

«سنذهب اولاً الى المتحف الوطني، ثم بعدها انت تختار المكان الذي تحب ان تذهب اليه، انا الدليل السياحي اليوم واقوم على شرح التفاصيل الاثرية لهذه المدينة الجميلة.

ابتسم السيد طارق وطلب منها ان تتوجه اولاً الى اقرب مكان ليتناولا القهوة لانه من الساعة السادسة صباحاً لم يتذوق طعمها،

ثم اقترحت ان يذهبا الى المقهى القريب من المتحف وذلك توفيراً للوقت... انطلقت فيفيان نحو ذلك المطعم الذي يقدم القهوة التركية اللذيذة... اوقفت السيارة في المرآب، وخرجت وهي تحمل بيدها قبعة الكاوبوي وقفت امام السيارة تدير المفتاح وكان السيد طارق واقفاً الى جانبها خطى امامها بخفة ونظر الى الوراء ثم القى نظرة بعيدة عليها وهي تقترب منه، لقد بدت رائعة بهذا الجينز الضيق الذي يرسم تصاميم جسدها الممشوق المليء بالانوثة الجذابة وتلك الجاكيت والقبعة لم تكن سوى دليل على مدى تحررها ورفاهيتها النفسية اخذ يتفحصها من رأسها حتى اخمص قدميها وهو معجب بشكلها الريفي المليء بالطابع الاميركي، اقتربت منه ولاحظت ان عيناه لم تترك مكاناً في جسدها الا وتفحصته رمقته بنظرات تعبر عن مدى استغرابها بتلك النظرات... ضحك لها باستغراب هو ايضاً لقد تعجب من جرأتها وكأن ليس للخجل طريق الى وجهها لقد كانت واثقة من نفسها قوية الارادة عنيدة تخطو بذلك البوتين الذي يصدر طقطقة على الارض خطوات واسعة واثقة قوية وكأنها تستطيع ان تصنع القدر بقدميها ويديها معاً... اقتربت منه وسارا معاً الى داخل المقهى التركي... استمتعت فيفيان بالقهوة وكذلك السيد طارق وكانت كل دقيقة تفتح موضوعاً جديداً حول المناطق الأثرية والاكثر روعة وجمالاً من غيرها لم تصمت ولا لحظة واحدة وكان السيد طارق يبادلها الاسئلة والاجوبة باللغة العربية الواضحة الخالية من الغموض. كانت تشرح له عن اقتصاد البلاد والتقاليد التي يعيشونها وكيف ان المرأة تتمتع بحريتها الكاملة... وهي صاحبة الامر في هذه البلاد، وكما اوضحت له عدة مرات بأن

المرأة هي كل شيء في مدينتهم وكلمتها كلمة السيد ولها الحق ان تطلب ما تشاء وليس عليها ان تقدم الا ما تحب وتستطيع ان تقدمه. لم يكن هناك قانون يمنعها او يسيطر عليها ويقيدها...

اخذت فيفيان تحدثه عن المرأة وتحررها وكيف كانت القوانين الى جانبها وما عانته، وكل ذلك لتبين الفرق بين المرأة الاجنبية المتحررة والمرأة العربية المقيدة بالتقاليد والعادات والمطيعة لزوجها دائماً.

تعجب السيد طارق منها وسألها.

«انت رائعة يا آنسة فيفيان ان لديك شخصية قوية لو رأتك نساء العرب لحسدنك عليها».

ضحكت بابتسامة واثقة... وهي ترشف من قهوتها ثم اضاف.

«هل لي بأن اسألك سؤال يا آنسة؟».

«تفضل سيد طارق».

«لماذا تحافظين على شعرك هكذا حتى اصبح بطول المترين تقريباً مع انني اعتقد ان الاجنبيات يعشقن الشعر القصير».

«هذا صحيح يا سيد طارق، ولكني احب شعري وانا معجبة به هكذا، وكما انه يذكرني بوالدتي، لقد كانت تحمل نفس الخصل والطول، وتحافظ عليه دائماً ثم لا تنسى ان والدتي امرأة عربية، وهي تحمل بشعرها الأسود الطابع العربي».

«كنت سأقول لك هذا ولكني خجلت ان تعتبريني وقحاً اتدخل فيما لا يعنيني».

«كلا يا سيد طارق ان الجميع هنا يعتقدني من اصل عربي».

«حسناً، نستطيع ان نبدأ برحلتنا الآن اذا اردت».

نهضا وخرجا متوجهان نحو المتحف.

بعد جولة طويلة فيه خرجا وهما متعبان انطلقا بالسيارة من جديد وهي تسير بمحاذاة الشاطىء الرملي، كان السيد طارق ينظر الى الامواج بعيون حزينة، لاحظت فيفيان انه لا ينظر الى الرمال والامواج فحسب بل ينظر الى مكان ابعد بكثير يفكر بأشياء بعيدة عنه... اوقفت السيارة ولم يشعر الا وهي تأمره بالنزول.

«يا سيد طارق هل تستطيع النزول من السيارة، اريد ان امشي على الرمال قليلاً، لانني افتقد اليه بسبب عملي وهذه السيارة التي تمنعني وتقلل من سيري على اقدامي، هل تسمح لي ولو قليلاً ان المكان قريب من هنا وجميل جداً».

«حسناً يا آنسة تفضلي».

الفصل الرابع

خرجا معاً وتوجها نحو الرمال الدافئة ركضت فيفيان وشعرها يتطاير بشكل رائع ورائها ثم فجأة وقعت قبعة الكاوبوي من على رأسها وطارت بالهواء مما دفع السيد طارق الى الركض وراءها للالتقاطها. . . وقفت وهي تنظر اليه والابتسامة على ثغرها، كان يركض والقبعة تركض امامه، مرت لحظات وهو يلاحقها، واخيراً وقع عليها والتقطها بكلتا يديه. . . لقد ضحك بكل ما يملك من قوة واحس بأنه لم يبتسم هكذا منذ سنين.

سارت فيفيان ورائه وما زال الشعر الغجري يتطاير بنعومة ويسير خلفها وكأنها لوحة جاهزة لتعرض في اجمل المتاحف.

وقعت الى جانبه وهي تضحك بملىء شفتيها الجذابتين وكان لوقعتها الأثر الكبير في جسد طارق الشاب المليء بالاثارة ثم لامست خصلات من شعرها وجهه الاسمر البرونزي، مما جعله يستنشق عبيره الفواح. . . مما اطاح بالدم الى رأسه وخاصة تلك العينان الأسرتان. . . اقتربت منه اكثر وقالت له بوضوح.

«هل تعلم يا سيد طارق ان هذا اليوم هو اجمل يوم في حياتي، لا اعلم لماذا، ولكنه سيترك الاثر الكبير في ذاكرتي

وخاصة وانا اتجول مع شاب جميل وعربي اصيل».

ثم نظرت اليه بحنان وشوق وقالت.

«هل تعلم، انا اشعر وكأنني اعرفك منذ زمن، لم الاحظ انني مندفعة ومتهورة نحو اي شاب ولم اتصرف على هذا النحو ابداً ولا مرة في حياتي، صدقني انها المرة الاولى».

ثم حلقت بنظرها الى السماء واضافت.

«ربما انا سعيدة لانني اجد شخصاً ما يذكرني بوالدتي، هل تعلم انني احلم دائماً ان ازور تونس وخاصة اهل امي، كانت تحدثني عنهم دائماً».

فجأة تدور بجسدها النحيف على الرمال مما لوث شعرها وجعله يمتلىء برمال البحر. . . ضحكت وهي تميل بوجهها نحو السيد طارق ثم اضافت.

«هل استطيع ان اناديك طارق فقط؟».

«نعم ان هذا يريحني كثيراً».

«وانت هل ستناديني بفيفيان فقط؟».

«نعم اذا اردت ذلك».

«نعم اني اريد ذلك ارجوك».

ثم اقتربت منه وطلبت منه ان يكرر اسمها مرات ومرات على مسمعها بصوت عالي، وقفت وهي تبتعد قليلاً وقالت له.

«الآن انا مستعدة لاسمعك تناديني هيا».

همس السيد طارق بصوت خافت مسموع اسمها.

«فيفيان، فيفيان، فيفيان» عدة مرات مما جعلها تقترب منه بجنون وتقول له.

«طارق، طارق» بشفاهها الانثوية الغليظة مما اطاح الدم في

راس طارق لانه كان مبهوراً بهذه الفتاة التي تحمل كل معنى المرأة في جسدها ووجهها وعينيها وشعرها، احس بأنه لن يتوانى عن تقبيلها بوحشية لانها كانت تصر عليه بعينيها المثيرتين.

تعجب من تصرفها هذا وتسرعها احس وكأنها سوف تطير به الى اقصى الارض... لقد كانت سعادة بادية على وجهه لاول مرة يشعر بها بعد مرور زمن طويل.

اقتربت منه من جديد ولكن هذه المرة بعينين منخفضتين وهي تنظر، بأصابع يديها المتشابكين مع بعض وكأنها طفلة صغيرة، ثم قالت له.

«انا اعتذر فعلاً، انا فتاة متسرعة ولكني معجبة بك منذ اليوم الاول لدخولك الى مكتبي ولا استطيع ان اخبىء تلك النظرات التي تشبع غرورها منك، ربما انا فتاة صريحة ولكن هذه الحقيقة انا لا استطيع ان اقاوم جاذبيتك هذه، انت جميل جداً».

اقترب طارق منها ممسكاً بكومة من الرمل بين كفيه وهو يرمقها بنظرات حائرة ثم قال لها.

«فيفيان انت فاتنة، رائعة، انت تحملين كل ما للمرأة من حق في امتلاكه من جمال وخفة ورونق».

فرحت لهذا القول وتمنت لو انه يبقى في هذه البلاد مئات السنين.

حاولت ان تمسك بيده، ولكنه ابتعد بسرعة مما اجفلها لفترة ما وشعرت بالكسوف تجاهه... ولكنه سارع بالقول معتذراً.

«ارجوك يا فيفيان ان تسامحيني، نحن العرب لا نستطيع ان نسلم على امرأة كما قلت لك سابقاً لا يحق لنا. ان هذا ضمن قوانين ديانتنا وذلك لانهما دليل على الاثارة وخيط يصل بين

احساس المرأة والرجل».

ابتسمت من جديد وعادت الى اللعب بالكلمات.

«حسناً ان هذا يعجبني فأنا احب الشاب المتحفظ».

«انا لا اقوم الا بما يمليه علي واجبي الديني».

«حسناً، لا بأس، لا بأس انا سعيدة لأن اعرف هذا فأنا احترم الاديان واحافظ على ان اطبق ديانتي بكل قوانينها ايضاً، ولكن هل تعتقد ان للحب دين ومذهب، هل تعرف ما هو آله الحب».

«كلا، انا لا اعرف، ان الرجل العربي لا يستطيع ان يمارس الحياة كما يحلو له، ان حياتنا مليئة بالقيود الصارمة لذلك تجدين الرجل منا يتزوج عدة نساء».

«هذا رائع والمرأة الا يحق لها بأكثر من زوج».

«كلا».

«ماذا؟ هذا مخالف لا يحق لكم ذلك».

«ان حياتنا تختلف عن حياتكم ومجتمعكم كثيراً».

«احب ان ازور تلك البلاد وسأفعل ما بوسعي لكي احقق حلمي هذا».

«نعم تستطيعين ساعة تريدين اذا كنت تملكين الوقت الكافي».

قال لها موضحاً.

«والمال يا طارق؟ والمال لا تنسى النقود انها اهم ما تملك».

«كلا آنستي ان للإنسان اشياء اكثر قيمة من المال يستطيع ان يمتلكها».

«الحب، المرأة، الجسد». قالت له هذه الكلمات بسرعة.

«حتى هذا لا يستطيع ان يتعلق بهم الانسان، فهناك اشياء اقوى وأعنف واعمق تساعدنا على الاستمرار بعيداً عن النساء

والمال والحب والجسد بعيد كل البعد عن قناع الدنيا».

«ما هي يا طارق هذه الاشياء الاكثر قيمة من كل هذا، ارجوك ان تخبرني، اني انتظر هيا».

«اذا اخبرتك سيطول حديثنا لأنها اشياء لا تنتهي ولا يسهل شرحها كثيراً انها بحاجة الى وقت اطول واعمق لتستطيعين ان تفهمي معنى الحياة الحقيقي والوجود الباهر للانسان بانسانيته الصادقة العميقة».

«حسناً متى ستخبرني عن هذه الاشياء، انت تعلقني بك اكثر انت غامض، وانا احب ان ادخل اغوار غموضك احب ان اعرف كل ما تخبئه تلك البلاد من اسرار الدنيا والحب والعاطفة».

«حسناً تستطيعين ولكن ليس الآن يجب ان نعود ادراجنا لأن الوقت بدأ يداهمنا وانا انتظر مكالمة ضرورية رداً على مكالمة الصباح، ولا استطيع ان اتأخر».

«هل سنعقد لقاء آخر».

«نعم متى تريدين».

«الأحد القادم، هل هذا جيد لك».

«حسناً، ولكن اين».

«هنا على هذه الرمال».

«حسناً».

ثم نهضا وامسكت فيفيان بشعرها وهي تديره شمالاً ويميناً لتزيل عنه آثار الرمال، لقد احس طارق ان لحركتها هذه تأثير في انحاء جسده... انه رجل ويستطيع ان يشعر بها كامرأة كاملة وهو ليس بحاجة لاكثر من نظرة منها لكي تثيره على هذا النحو.

ابعد نظره عنها وكأنه يلوم نفسه على تصرفه هذا ويعاقب نظره

للسماح له بالتمعن بمشاهدتها لقد احس بأنه اخذ اكثر مما يحق له... ثم اردف مفكراً بينه وبين نفسه، بأن هذه المرأة قوية وقادرة على السيطرة عليه اذا لم يبتعد كثيراً عنها... ولكنه بحكم عمله لا يستطيع ان يبتعد عنها فهو بحاجة لأن يكتب ويطبع كتابه لأنه مصدر عيشه، سار الى جانبها بخطى واضحة تترك آثاراً خلفهما على الرمال كان ينظر الى تلك الاثار وكأنه يحاول الهرب منها لاحظت فيفيان انه غير مستقيم بمشيته ثم سألته.

«لماذا تمشي هكذا».

«لا اعلم ربما لامحي اثار اقدامي».

«هل تخاف ان يراك احد معي».

«كلا انا... انا فقط العب بالرمال».

شعرت فيفيان بأنه يتهرب من شيء ما... ولكنها لم تكترث بل تابعت سيرها نحو السيارة وجلسوا داخلها.

«اين تريد ان اوصلك».

«الى مركز البريد، ارجوك».

«ولكن، الا تريد ان اوصلك الى المنزل اولاً؟».

«كلا انا افضل ان استعلم عن مخابرتي اولاً».

«حسناً كما تريد».

سارت السيارة باتجاه مركز البريد وهما في الطريق عاد طارق الى شروده الطويل من جديد، حاولت ان تسأله ولكنها تراجعت خوفاً من تدخلها في حياته، ربما يكون مزعجاً له، فضلت ان تظل صامتة على ان ترى ملامح الانزعاج على وجهه.

عندما وصلت امام البريد سألته من جديد.

«هل تريدني ان انتظرك يا طارق».

www.liilas-romancia.com

«كلا، كلا يا فيفيان، من الممكن ان يطول انتظاري هنا، وانا لا اريدك ان تنتظريني كثيراً».

«حسناً متى سأراك».

«سأكون غداً في المكتب عندك الساعة الحادية عشر هل يناسبك وبالوقت نفسه القي نظرة على الصفحات الاولى من الكتاب الجديد، ما رأيك؟».

«حسناً الى اللقاء».

«الى اللقاء».

ابتعدت بسيارتها وهو ما يزال واقفاً حتى غابت عن نظره، دخل الى البريد ومن ثم سأل السيدة الجالسة خلف المكتب اذا كان هناك من خطوط الى تونس فاجابته بالنفي، امتلىء وجهه بالحزن واحمر كثيراً، ثم عقد حاجبيه الكثيفين واخذ يتمتم كلمات الغضب بالعربية لم تفهم عليه تلك السيدة، خرج من البريد سيراً على الاقدام حتى وصل الى الفندق الذي يسكنه، ثم دخل الى غرفته وانكب على كتبه يفكر بقلق مخيف واضعاً يديه على رأسه، راحت افكاره تتخبط شمالاً ويميناً مما ادى الى اصابته بألم في رأسه نهض الى المرحاض ووقف تحت الدوش بكامل ملابسه غير آبه لما يصيبه من بلل... اسند رأسه الى الحائط وهو حائر هل يستقل طائرة الى تونس وينتهي من هذا القلق المميت ام يبقى على انتظار تلك الطائرة، لم يعد يستطيع الانتظار اكثر، خلع ملابسه واكمل الدوش مما جعله يستريح ولو قليلاً بالمياه الساخنة على جسده البرونزي، ومن ثم استلقى على السرير بشكل عفوي وحاول ان ينام بكل ما يملك من قوة على النوم.

وبينما كان يحاول الانتصار على القلق الذي عشعش في رأسه

كانت لحظات ذلك النهار تسير امامه كطيف غمام جميل مما يشعره ولو بقليل من الراحة، كانت صورة فيفيان تمر امامه كل لحظة بعد لحظة، ساعات مضت بين الحب والسعادة، والقلق المسافر نحو تونس.

نهض في الصباح الباكر على رنين الهاتف المتواصل... امسك بالهاتف بلهفة.

«الو نعم».

«سيد طارق مكالمة لك من تونس».

قال له الصوت القادم من الأثير.

«انا حاضر».

«طارق، طارق، كم نحن مشتاقون لك كثيراً».

قالت المرأة على الهاتف بصوت بعيد يملؤه الدموع والغصة.

«كيف احوال الصغير يا ليلي».

«جيدة يا عزيزي، انه بخير، لقد نجا بأعجوبة ان الله الى جانبه الآن».

«هل تعافى جيداً؟!!! هل نجحت العملية ارجوك قولي يا ليلى؟».

«نعم يا حبيبي نعم لقد نجحت مئة بالمئة، ولكنه بحاجة الى العناية الطبية الآن، ولقد قرر الطبيب بأنه يستطيع الخروج خلال ايام».

«هذا جيد ارجوك انتبهي جيداً واذا حدث شيء طارىء ارجو ان تتصلي على الفور لأن الخطوط عندنا هنا صعبة جداً بسبب هذه العواصف التي لا تنتهي».

«حسناً يا حبيبي، ارجو ان تكون بخير وتعود قريباً، كما نحن

بشوق لرؤيتك الحبيبة».

«حسناً، حسناً، الى اللقاء القريب».

وانقطعت المخابرة القصيرة المنعشة للروح والعقل والجسد وكأنها اكسير الحياة، وعندها استطاع ان ينهض بنشاط من فراشه، وهو يحدق بالساعة على الحائط، كان عليه ان يكتب قليلاً... توجه الى مكتبه وامسك بالقلم ليبدأ بالكتابة من جديد لم يكن هناك سوى خيال فيفيان وجمال عينيها اخذ القلم يخط الكلام المبدع والجميل الذي يصف فيها خلايا جسدها بكل ما يملك من انوثة ويصف وميض عينيها ورونق شعرها الاسود وهو يتطاير على اكتافها... امسك الاوراق التي كتبها بين يديه واخذ يراجعها بامعان زائد وشعر بان سحر غريب في تلك الكلمات كأنه يصف اميرة من الصحراء قادمة على فرس بثوب ابيض وشعرها يتطاير شمالاً ويميناً لم يكتب بهذا الجمال من قبل انه شاعر ولكن رؤية فيفيان له جعلته اكثر من شاعر للكلمات لقد اصبح شاعراً لاكثر من ذلك اصبحت كلماته تتراقص سحراً على تلك السطور وكأنه لاول مرة يكتب الشعر العربي.

نهض مسرعاً وتوجه نحو ملابسه وارتداها بشكل انيق وهو يضج بالسحر بذلك القميص الابيض الذي يكشف عن صدر برونزي رائع وتلك الشعيرات القليلة التي تزيده سحراً على سحر، ولبس البنطلون الرمادي ووضع الجاكيت الضخمة التي تساعده في السيطرة على البرد ومن تلك الزاوية بدا وكأنه فارس قادم على صهوة جواد اسود.

امسك الاوراق بين يديه وطار بها الى فيفيان... توقف امام مكتبها بينما كانت منهمكة على آلتها الطابعة لم تشعر بوجوده

ولكنها سريعا لاحظت جسده المثير برائحته التي زكمت انفها وعرفت انه هنا نظرت بتلك العينين والابتسامة الخلابة ثم ما لبثت ان دخل قلبه احساس صاعق كقوة البرق وتأثيره كالجمر في القلب لقد صعق بها وخاصة تلك النظرة والشفاه المثيرتان لم يستطيع مقاومة النظر اليهما شعرت فيفيان بنظراته التي اخذت تتفحصها بشوق وابتسمت ابتسامة عريضة زادتها جاذبية ثم سألته عن سبب وقوفه وهو صامت ولم يلق عليها التحية اجابها.

«انظري» ووضع الاوراق امامها، ثم اخذت فيفيان تستطلع ما كانت تحتويه من السحر والغموض... ثم قفزت وهي تقول بصوت مرتفع.

«رائع، يا طارق، رائع».

«لقد جعلت مني شاعراً يا فيفيان، انا كنت كاتباً فقط، ولكن لم استطيع مقاومة وصفك بالكلمات، نعم لقد جعلت مني اكثر من شاعر».

زادت عيناه اثارة وروعة بذلك السحر العربي العريق.

«انت فعلاً ساحر كلمات، وناسج خيوط شعر رائع ما هذه الكلمات هل جميعها موجهه لي يا طارق؟».

«نعم».

«لماذا؟».

«لا اعلم لقد شعرت بحاجة ماسة الى التعبير عن ذلك النهار وجمال عينيك ورونق المرأة الرائعة فيك».

«هل انا على هذا المستوى من الوصف».

«نعم واكثر من ذلك ايضاً، انت، انت جعلت مني شاعراً، شكراً لك».

«اعتقد بأن كتابك هذا سيضرب الرقم القياسي في معرض الكتب في تونس».

«هل تعتقدين ذلك».

«انا اشارطك منذ الآن».

«حسناً، ما هو شرطك».

سألها وهو ينظر الى الصفحات بين يديها.

«اولاً اذا ربحت ستعطيني قبلة رائعة عميقة».

«ماذا لا، لااستطيع».

«لماذا هل ما زالت القيود تقيدك يا طارق».

«انا، لم... اتوقع ان تطلبي مني هذا».

«لماذا الا تعتقد بأن هذا الشعور موجود في كلماتك هذه، فأنت تصف قبلتي بكل ما تحمل من احاسيس، وانا احب ان تقبلني».

«كلا، بالنسبة لي هذا شيء يستحق العناء».

«وانا اصر ولن اترك لك الخيار، فور حصولك على الجائزة الأولى سوف تجدني احضنك امام الجميع واقبلك علناً وليحدث ما يحدث».

«لماذا انت دائماً متحررة بهذا الشكل وتحرجيني في مواقف لا استطيع ان اسيطر فيها على احساسي».

«انا لا اقوم سوى بما اشعر به يا طارق، وانا اعرف انك لا تستطيع ان تتوانى عن مرافقتي في رحلة عاطفية عميقة الى اغوار الحب ما رأيك».

«نعم ولكني لا استطيع وانت لن تستطيعي ان تدفعي بي نحو الخطيئة، واذا استمريت على هذا النحو سوف لن نلتقي بعد

الان».

«كلا يا طارق، ارجوك انا امزح فقط انا افضلك كصديق على ان لا اراك ابداً».

شعر طارق بلهفتها نحوه ومحبتها له مما اضطر به الى الهروب من عينيها والابتعاد نحو الكرسي المقابل الى المكتب وجلس عليه نافخاً صدره بغرور عربي مثير.

«متى تريدني ان ابدأ بطبعه».

«في الحال لكي نستطيع ان نرسله الى تونس في المعرض القادم».

«حسناً كما تريد».

اقرتبت فيفيان منه بشكل مفاجيء وهي تنظر اليه بعينين ملهوفتين وقالت.

«ما رأيك لو نتغذى اليوم معاً».

«حسناً انها فكرة رائعة».

تواعدا في الظهيرة ثم خرج من المكتب، وكانت تلك النظرات من الفتيات في الخارج لا تزال كما هي.

الفصل الخامس

انكبت فيفيان على طباعة تلك الصفحات وتنسيقها وهي تراقب كل كلمة وتعيش مع الوصف الحي للشعر الذي كتبه احب الناس الى قلبها، دهشت وشعرت بتقلص اوصالها كما شعرت بمعنى الكلمات العميق لتلك المشاعر التي تصفها.

طارت حلقت بالجو وابتعدت عن المكان الذي كانت تجلس فيه حلقت على غيمة من الاشواق العابقة بحب ذلك الفارس الاسمر الطويل.

عند الغداء... كانت فيفيان تنتظر قدومه بفارغ الصبر، واقفة امام مدخل البناية تنتظر، شعرت بالبرد يلف جسدها النحيف واحست وكأنه لن يأتي ابداً، وفجأة توقفت سيارة سوداء، وفتحت نافذتها علي مهل ونظرت لم يكن سوى طارق وراء المقود وهو يتبسم مشيراً اليها للصعود، ثم ركضت من المطر الذي بلل رأسها وملابسها، ودخلت وهي ترمقه بنظرات التساؤل عن سبب تأخره.

«اعتذر يا صغيرتي، كان هناك عمل».

«هل هوايتك ان تجعلني انتظر».

«كلا، ولكن صدقيني ليس بيدي حيلة».

«هل هو اتصالك بتونس».

«ربما».

«لماذا انت غامض هكذا معي؟».

نظرت اليه من جديد بغضب.

«اذا كنت ستستمرين بهذا الشحوب، فأنا لن اتناول ولا حتى لقمة واحدة من هذا الطعام».

«كلا، لن ابقى هكذا اذا اخبرتني عن سبب تأخرك هل تعتقد بأنني سأنتظرك طول العمر».

«اني اعتذر مجدداً، واذا لم تسامحيني، فسوف اخرج حالاً بلا عودة».

«لماذا تهددني دائماً بعدم رؤيتك، هل تعلم مدى ضرورة رؤيتك بالنسبة لي».

«نعم يا صغيرتي هل تشعرين بالخجل الآن».

«كلا انا لا اخجل انا اقوم بعمل ما يحلو لي وساعة اريد».

«هذا واضح».

«هل تعتقدني فتاة لعوب».

«لا اعلم، ربما».

رمت بالملعقة بكشل ملفت للنظر والغضب يتطاير من عينيها.

«لماذا يا طارق هل طلبت منك شيء يدل على انني لعوب».

«كلا يا صغيرتي انت فتاة لطيفة، ومحافظة وشريفة جداً، ولكن في بلادنا المرأة التي تعاشر الرجل او حتى تتحدث معه بدون رباط مقدس تعتبر امرأة لعوب...».

«هل انا هكذا بالنسبة لك». قالت له بتوسل، واضافت.

«انا لم اتحدث الى احد بحياتي، ولم اتكلم مع اي انسان

بهذه الطريقة صدقني، انت الوحيد الذي دخل اعماقي دون ان يطرق الباب، لقد كنت صادقة معك الى ابعد حدود، واكرر بأنه ليس هناك امر بحياتي سواك، ولم يلمسني احد منذ طفولتي فأنا كزهرة مشرقة تنتظر من يقطفها».

«هل تعنين بأنك ما زلت عذراء».

«نعم يا طارق، نعم».

«هذا رائع، هل تعرفين ماذا يعني هذا عندنا في بلادنا، انه شرف المرأة وسبب وجودها على الارض، المرأة الطاهرة النقية هي امرأة شريفة صالحة لأن تكون زوجة».

«هل هذا يعني بأنني صالحة لاكون زوجتك؟».

«انحرف بنظره عنها كما يبتعد عن الجمر المحرق، لاحظت هروبه ثم اضافت.

«لماذا هذا الصمت، هل انا لا اليق بك، لماذا تبتعد الآن، اني اشعر بك من خلال وجهك وشعرك الجميل».

«كلا، انت فتاة رائعة وصالحة لأن تكوني زوجة وحبيبة ولكن...».

«ولكن ماذا... هل استطيع ان اعرف السبب انت تحبني وهذا واضح من تصرفك، لماذا لا تعترف حتى نصبح عاشقين رائعين لماذا؟ يا حبيبي».

«لا استطيع فيفيان، انت متسرعة جداً انت تحبين شعري وكتبي ولكنك لم تشعري بشخصي انا كرجل».

«كلا انا اشعر بك انك تعجبني وتثيرني انت اروع رجل رأيته».

«كفاك يا فيفيان انك متسرعة جداً، انتبهي لكلماتك، اتمنى ان لا تلوميني يوماً ما عما قلته الآن».

«انا اصر على حبك، ولن اتراجع ولن اندم، ولكنك انت لا تشجعني لماذا هذا الغموض والهروب من الواقع».

«لا اعلم لا اعلم، فيفيان وكفاك ارجوك ان تكفي عن هذه الكلمات».

«هل تعني انك لا تعترف بتلك الكلمات في كتابك؟».

«كلا، كلا، انا اعني كل كلمة، بل كل حرف ارجوك لا تفهميني خطأ، انا فقط احافظ على عدم تسرعك بالانحراف نحوي».

شعرت فيفيان بضيق شديد في صدرها واحست بأنها تكاد تنفجر اخذت نفساً عميقاً ولكنها لم تستطيع ان تسترخ لقد عاد الضيق الى صدرها من جديد واخذ قلبها يدق بسرعة مذهلة مما افقدها السيطرة على نفسها ثم وضعت يدها على صدرها بشكل قوي وصرخت من الالم... حاول طارق ان يهدئها ويعرف ما اصابها، اعتقد في بادىء الامر انها تتصنع، ولكن الامر الآن بدأ يأخذ الجدية التامة، غابت فيفيان عن الوعي تماماً مما اذهل طارق وادخل الخوف الى قلبه... اخذ خديها بين يديه وراح يحاول ان يجعلها تستيقظ ولكنه فشل مما دفعه الى طلب النجدة المستعجلة من الموجودين وما هي الا لحظات حتى كانت السيارة السوداء امام المطعم فحمل فيفيان بين ذراعيه وادخلها الى السيارة وامر الكرسون ان يغلق الباب خلفه ثم انطلق نحو اقرب مستشفى في الجوار اطلق العنان لسيارته ووصل بسرعة الى المستشفى الوطني...

خرج من السيارة نحو غرفة الطوارىء يطلب مساعدة لحملها الى غرفة الانعاش فركض الجميع نحوها، وحملت الى الداخل

ثم اقترب طارق من غرفة زجاجية ينظر اليها من بعيد وهي نائمة والجميع يحاول اعادة الحياة اليها كان ينظر اليها والدموع تكاد تنهمر من مقلتيه ولكن كرجل عربي اصيل استطاع ان يدفن دموعه خلف اجفانه ولكنه لم يستطع ان يخبىء خوفه من فقدانها. . . عاش نفس القلق الذي كان يشعر به عندما كان طفله الصغير في المستشفى يقوم بعملية فتح قلب لقد كان خائفاً كثيراً، ووجهه مثل الجمر لم يكن بمقدوره ان يتصل بأحد لانه لا يعرف شيئاً عن حياتها الخاصة، بمن يتصل لا احد يعرفه، فكر ملياً، ولكنه لم يجد سوى حقيبتها بيده فتحها بعجل لعله يجد ارقام هاتف ما يدل على من يستطيع الوقوف الى جانبه كان بحاجة الى اي شخص يقف الى جانبه. . . ولكن صوت الطبيب اوقفه للحظة ثم قال له.

«سوف تكون بخير يا سيد ولكن انتظرني في المكتب حالاً».

تبعه نحو المكتب ودخل وهو خائف من الكلمات التي ستواجهه.

«هل استطيع ان اعرف ماذا تكون فيفيان بالنسبة لك» سأله الطبيب.

«انها. . . انها حياتي كلها يا سيدي. . . انها حبي وكياني».

نطق بهذه الكلمات دون ان يشعر بها لقد عبر عما يختلج في قلبه من احاسيس تجاه تلك الطفلة النائمة في غرفة الانعاش.

«حسناً اذاً لا استطيع ان اخفي شيئاً. . . انها. . . انها بحاجة الى العناية الفائقة يا سيد طارق ان قلبها مصاب. . . ولا تستطيع ان تتحمل اي شيء طارىء حزين. . . انها في خطر محتم يجب عليها ان تستمر في معالجة نفسها واخذ الدواء والا اضطررنا لاجراء عملية من المحتمل ان لا تنجح ان قلبها ضعيف جداً».

«ارجوك يا دكتور قل لي ان هذا غير صحيح، ارجوك».

«كلا يا بني، ان هذه هي الحقيقة».

«كلا لا يمكن ان يكون القدر قاص معي بهذا الشكل، اولاً ولدي ثم هذه الطفلة التي احببتها بكل اعماقي. . . لماذا يا آلهي. . . لماذا تساومني على احد احب الناس الى قلبي اولاً ولدي ثم حبيبتي ماذا اقترفت يداي. . . اني اتوسل اليك ايها الطبيب. . . الا يوجد طريقة مريحة وسريعة تخفف من آلامها».

«كل ما نملك يا بني هو عدم اثارتها او اغضابها بشكل يفقدها السيطرة على نفسها كل اتكالنا على الله. ارجوك. . . ان تدعها تستمر على هذه الادوية وان تبقى دائماً على اتصال بي».

«حسناً، شكراً لك ايها الطبيب، هل استطيع رؤيتها الآن».

«نعم تستطيع ان هذه لم تكن سوى نوبة قلبية، وعندما ترتاح سوف تستطيع ان تعود بها الى المنزل، ولكن احذرك من جديد بعدم ازعاجها والمحافظة على هدوءها اي غضب من الممكن ان يؤدي بحياتها».

خرج طارق وهو يتأبط حزنه بين يديه ويسأل الله.

«لماذا يا الهي لماذا فيفيان، هل مكتوب علي ان اخسر اعز الناس الى قلبي، كيف سأواجهها الآن بالحقيقة كيف سأقول لها اني. . . لا لا استطيع ان هذا شيء مخيف ومؤلم لن اقضي عليها لن اكون السبب في القضاء عليها».

دخل الى الغرفة عندما كانت فيفيان مستعدة للخروج. . . اقترب منها وامسك بيدها بقوة وراح يقبلها بشغف تعجبت فيفيان من تصرفه هذا وقالت له مستغربة.

«هيه، يا طارق، هل فقدت ايمانك الآن».

«كلا يا حبيبتي انت من الآن ستكونين زوجتي، وحبيبتي الى الأبد».

«ماذا هل انت صادق حقاً؟».

«نعم يا حبيبتي انت زوجتي من الآن».

«يا حبيبي كم انا سعيدة».

كم كانت فرحتها كبيرة في تلك اللحظة مما دفعها الى السعادة القسوى كانت الممرضة الى جانبها لم تسحب بعد الشرائط الموصولة الى صدرها وهي ما تزال تعطي اشارة حول سير دقات قلبها فلاحظت انها تسرع بعض الشيء وزاد صوت الماكنة المتكتكة الى جانبها مما ادخل الخوف الى قلب طارق، ولكن الممرضة طمأنته قائلة.

«لا تخاف ان هذا من تأثير الفرحة... هل تعتقد ان الحزن وحده الذي يتحكم بضربات القلب، كلا، ان الحزن والفرح هما سبب خفقان القلب ولكن الفرق القوة بينهما، واتمنى ان لا يكون الحزن المنتصر واعتقد انكما زوجان رائعان».

ضحكت فيفيان قائلة.

«شكراً لك كم انت لطيفة».

بعد ساعات استطاعت فيفيان ان تخرج وتعود الى منزلها وهي تتأبط ذراع طارق، ذلك السيد الاسمر القادم من البعيد، المسيطر على قلبها وسبب ضخ الروح فيه، لولاه لما كانت فيفيان تتمتع بالحياة الآن.

عادت الى منزلها... وقدمت طارق لوالدها شارحة ما اصابها وكيف ان طارق انقذها ولكنه لم يخبرها عن سبب ما اصابها، حاولت ان تستخلص منه ما اصابها و لكنه قال.

«فقط ارهاق بسيط».

«ولكن هل هذا الارهاق يسبب الغيبوبة والألم المبرح في الصدر».

«نعم يا حبيبتي انه من الارهاق، ويجب عليك الاستمرار في تناول الدواء والمنشط هذا والاستمرار ايضاً في زيارة الطبيب عند الشعور بأقل ألم».

«انت تخيفني يا طارق، هل انا مصابة بمرض عضال».

«كلا يا حبيبتي ما عاذ الله انت بحالة جيدة ولكن للاحتياط فقط».

دخلت فيفيان الى غرفتها لتستعد للعشاء وكانت نور تساعدها في ارتداء ملابسها، ثم سألتها فيفيان بلهفة.

«ما رأيك بطارق يا نور؟».

«انه رائع، ولكن اشعر وكأنه غامض قليلاً».

«ربما ولكنني احبه بجنون، لم يمر سوى شهرين على معرفتي به... وانا الآن اعشقه بجنون».

«انتبهي يا فيفيان ان الحب يشكل خطراً على العلاقة في بعض الاحيان».

«لا تخافي انا متيقظة تماماً».

كان طارق في هذه الاثناء يحدث والد فيفيان السيد اوليفر، وهو يخبره عن حقيقة ما اصاب ابنته المحبوبة.

«ارجوك يا سيد اوليفر ان تكون قادراً على تحمل ما سأخبرك اياه».

«ماذا يا بني اني قلق جداً، ماذا يحدث مع فيفيان ارجو ان تكون بخير».

«انها الآن بخير ولكن . . . ».

«ولكن ماذا يا بني».

«ان قلبها ضعيف، وهي بحاجة للعناية وعدم اثارتها، هذا ما طلبه مني الدكتور ماكلين نورث في المستشفى الوطني واعطاني عنوان ومركز عيادته وهو مدون هنا ويريد من فيفيان ان تواظب على الاستمرار بالتردد الى عيادته لفحصها بدقة ومن الممكن ان تحتاج الى عملية جراحية لفترة ما، ولكن الآن يمكنها الاستمرار بهذا العلاج المؤقت، ولكن من الضروري عدم اغضابها او ارهاقها في العمل او تعرضها لضغط شديد من الالم».

ولكن كيف علينا ان نقنعها بعدم الاستمرار في العمل».

«هناك حل ولكني خائف جداً منه، ولكن لا مفر، اريد ان آخذ برأيك اولاً».

«ما هو يا بني».

«اني خائف جداً انه بمثابة قرار صعب وارجو ان تصفح عني واذا لم يكن هذا يريحك فقل ارجوك».

«هيا تكلم يا بني، ارجوك انا اعرف انك تحب ابنتي وهي تحبك بجنون، ان كنت تطلب مني الموافقة على هذا الزواج، انا مستعد لاقدم مباركتي من الآن».

«كلا يا سيد اوليفر انه اقوى ومسبب للآلام اكثر، انا احب فيفيان احبها بصدق ولكن صدقني انا لم اقصد ان ادعها تحبني، هي من بدأ وانا احببت طفولتها البريئة لقد تسرعت كثيراً فيفيان بحبي واعلانها لي بأنها تريدني بكل ما تملك من قوة، صدقني يا عمي، انا احب ابنتك ولكنني لم اورطها حتى تتزوجني انا حاولت ان افهمها بأنني . . . بأنني . . . متزوج!!!؟».

«ماذا؟».

شهق والدها بصوت مبحوح خافت مؤلم.

«ارجوك يا سيد اوليفر ان تسمعني الى الآخر، نعم انا متزوج ولدي طفل صغير يعيش مع والدته في تونس تدعى ليلى، وانا احبها ولكن هناك مشاكل كبيرة تفصل بيننا وهذا الفراغ العاطفي الذي اعيش فيه ادخل فيفيان الى قلبي وملأني سعادة وحب وعاطفة، انت تعلم يا سيد اوليفر ان العرب وخاصة الشاب العربي الذي يتمتع بقوة ونفوذ قوي وذو سلطة على اراض شاسعة يحق له بأكثر من زوجة».

«ماذا وهل ستضم ابنتي المسكينة الى جواريك ايها السيد».

«كلا انا لا اقصد اسمعني الى الآخر ارجوك».

«لماذا تريدني ان اسمعك الى الآخر، هل تعتقد بأنني افرط بابنتي هكذا بكل سهولة انها ليست جارية يا سيد طارق، واكرر بأنك مخطىء».

«انا اعرف سيد اوليفر، انا احب فيفيان من كل قلبي ارجوك ان تفهمني انا لدي زوجة واحدة فقط، وطفل وليس لدي جواري انا حقاً املك اراضي شاسعة وعندي نفوذ قوي ومسيطر تماماً على مقاطعتي ولكن لست اقطاعياً وليس عندي القصور والجواهر، انا رجل مثقف واعشق المرأة الجريئة القوية التي تتمتع بالثقة الكاملة انا عشقت فيفيان لانها انسانة متحررة، انا كاتب سيد اوليفر علي ان اساعد المرأة على التحرر».

«اني اسمعك يا بني تابع».

«لقد فاجأتني فيفيان بحبها ولم تتيح لي الفرصة لاخبرها الحقيقة ولكنني عندما اردت ان اطلعها على هذا الامر بعدما

رجوتها ان لا تتسرع بعواطفها كي لا تندم لاحقاً ولكنها لم تسمعني واسرعت في طلب حبي والاعتراف وعندما ترددت ولم اعترف لها اصابها ذلك الالم في قلبها وانتابتها النوبة القلبية، وكادت ان تقضي عليها، وانا الآن محتار بينها وبين الحقيقة مما اجبرني على طلب الزواج منها خوفاً على سلامتها ولكن صدقني انا فعلاً كنت اريدها زوجة لي ولكن بعد ان اسألها عن رأيها بخصوص زوجتي الاولى، ارجوك يا عمي ان تصدقني، فأنا منذ زواجي وانا اعيش كابوس مرعب، عندما تزوجت وكالعادة ابنة عمي كان زواجنا بدون حب خالي من الاحساس العاطفي وكان الطفل الصغير سبب استمرارنا حتى هذه الفترة، ولكن المؤلم اكثر من هذا ان طفلي الصغير يعاني من انسداد في صمام القلب وهو بحاجة الى عدة عمليات والآن مرت الاولى على خير وهو الآن بحالة راحة تامة وعندما جاءتني فيفيان لم اكن بحالة قادرة على منعها من حبي كنت قلقاً على طفلي الصغير ولقد ولد وهو يعاني نقصاً في تكوينه الجسدي، وذلك بسبب القرب الواضح بيني وبين زوجتي وقد حزرني الطبيب من الاستمرار في انجاب الاطفال خوفاً من ان يزيد عدد المعاقين لدي مما دفعني الى الهرب والمجيء الى هذه البلاد الغريبة ابتعد عن زوجتي التي تحبني ولكن انا لم اعرف طعم الحب معها، وعندما جاءت فيفيان كانت سلوتي ولوعتي وحبي المجنون. انظر الى اي نفق عميق وضعت فيه نفسي الآن علي ان انقذ ولدي من مرضه ولا استطيع ترك والدته خوفاً من آلامه وكذلك لا استطيع ان اترك فيفيان في آلامها... اني خائف يا سيد اوليفر ماذا افعل ارجوك ارشدني الى الطريق الصحيح... لم اكن انوي ان اقع في حبها ولكن الوحدة

والحاجة شيء صعب في حياتنا لقد جاءت فيفيان واشعلت اعماقي انا احبها صدقني يا عمي...».

«انا اصدقك يا بني... انت فعلاً في ورطة صعبة ومؤلمة انت تضع طفلك في كف وحبك لفيفيان في كف آخر والاثنان لا تستطيع الاستغناء عنهما وكفة الميزان لن تقول واحدة اقوى من الثانية الإثنان سيكونان بنفس الوزن على ما اعتقد ولكن يا ولدي يجب عليك ان تختار لا استطيع ان افرط بابنتي يجب ان تنسحب من حياتها بأقل آلام ممكنة ارجوك يا بني ان تحسن التصرف انا اعرف انك رجل جيد وشاب قوي تستطيع ان تنتصر على القدر».

«القدر عدوي يا سيد اوليفر لا يرحمني انه دائماً بالمرصاد اولاً ولدي والآن حبي... انا فعلاً منهار ولا استطيع ان استمر على هذا الشكل ماذا افعل بحق الله... ماذا افعل...».

وضع يده على رأسه وجلس على الاريكة الى جانبه واعماقه تتمزق طفلي في كفة وحبي في كفة، هذا ما كان يفكر به كيف سيقاوم هذه المصيبة.

الا يكفيه ألم واحد وكأنه خالٍ منه كلياً، وكأنه ليس بحاجة الى المزيد من الآلام، انهارت قواه ذلك الشاب الفارس القوي ينهار امام القدر...

الفصل السادس

توقف نفسه للحظات عندما شاهد فيفيان تتلألأ بفستانها الاحمر الوردي اللامع الذي يكشف عن كتفين برونزيتين رائعتين تملأهما الاثارة الفاتنة. . . نظر اليها بشغف. . . اقترب منها وامسك بيدها وقال.

«كم انت جميلة يا حبيبتي».

نظر والدها اليها وشعر بالحزن العميق على ذلك الشاب الضائع المريض وهو يشعر بغصة في حلقه الا يوجد من منصف لهذه المعركة الا يوجد من حل وسط يكون الجميع بسلام شعر بالقلق وانسحب بهدوء تاركاً طارق وفيفيان لوحدهما.

«اني اعتذر اعتقد انه من المفروض ان تكونا معاً لوحدكما».

«ولكن يا عمي لماذا لا تجلس قليلاً؟».

«كلا. . . كلا يا بني اني تعب واريد ان استلقي قليلاً».

تقدم والشحوب يغطي وجهه مما اقلق فيفيان واحست وكأن هناك شيء ما قد حدث لأنه منذ لحظات كان يتمتع بقوة واشراق خافت على والدها وسألته.

«ما بالك يا والدي. . . هل انت بخير. . . لماذا انت حزين».

«لا شيء. . . لا شيء يا حبيبتي انا فقط بحاجة الى القليل من الراحة والنوم».

تمنى لهما ليلة سعيدة ودخل الى غرفته.

اقتربت فيفيان من طارق ووضعت يدها على كتفيه وهي تحضنه برفق مما اضفى الى جلستهما الدفء والرومنطيقية، احس طارق بأنه سينجرف في اغوار عاطفته اذا لم يبتعد عنها في الحال. . . حاول ان يفتح عدة مواضيع بعيدة عن الحب والعاطفة كالكتابة والشعر ولكنها لم تترك له مجالاً للاستمرار وحاولت ان تدنو منه اكثر مما هي عليه ولكنه نهض مسرعاً ووقف امام النافذة. . . مما ازعج فيفيان وجعلها تتساءل.

«ماذا اصابك يا طارق انت ايضاً، هل تشعر بقلق؟».

«كلا يا عزيزتي. . . اني بخير ولكني افكر بالمستقبل».

«حسناً هل انا ضمن هذا المستقبل؟».

«نعم يا حبيبتي».

«الا تريد ان تشاركني افكارك؟».

«نعم، كنت افكر بأنه يجب علي ان ابحث عن شقة كبيرة لنا، لقد تعبت من الخدمة في الفندق والناس والأكل في المطاعم، لقد اشتقت الى طعام البيت، كما احتاج الى امرأة تكون في انتظاري عند عودتي من العمل».

«رائع وهل استطيع مساعدتك في البحث عن شقة، وعن تلك الامرأة القادرة على صنع الحلويات والاطعمة اللذيذة؟».

ضحكت وهي تسأله، ثم اجابها بنفس روح النكتة الطريفة.

«كلا لست بحاجة لك، لقد وجدتها وهي الآن الى جانبي، انا مستغني عن خدماتك في البحث».

ابتسمت بـاشـراق ممـا زاد من انـوثتهـا ومـلأت ضحكتهـا الغرفة... انفـرج فم طارق ايضـاً بابتسـامة عـريضة عنـدما شعـر بسعادتها ومدى هدوئها واطمئنان قلبه من ناحيتهـا، وعندمـا لاحظ بأن فيفيان تنظر اليه بشغف محاولة اغراءه، ابعد نظره بسرعـة وهو يقول.

«الا تطعمون ضيفكم، انا جائع، وانت جالسـه هناك تنـظرين وتبتسمين، الا تعتقدين بأن عصافير معدتي تزقزق».

«حـالاً يا حبيبي سيكـون العشاء جـاهزاً ان دور تعد لنـا طاولـة فخمة من المأكولات اللذيذة سوف القي نظرة على المطبخ لعلهـا بحاجة الى مساعدة».

استطاع طارق ان ينتصر على انوثتها في تلك اللحظة ولكنه هل سيستمـر على هذا الحـال... سوف يخضـع لها في نهـاية الامـر ولكنه يأمل ان لا يحدث.

فتـح باب الحـديقة وخـرج الى الباحـة الواسعـة... ونظر الى السماء وقال.

«سامحني يا بني... سامحني... لن اتأخر عليك... سوف اعود... صدقني يا حبيبي سوف اعود».

عـادت فيفيان وهي تحمـل صينية مليئـة بالاطعمـة اللذيذة، ثم وضعتهـا على طاولـة الطعـام... بحثت بنـظرهـا عن طـارق... ولكنهـا لم تجـده... ثم لاحـظت بـاب الحـديقـة المفتـوح... عرفت انه في الخارج.

كان الهواء عاصفا ينذر بهطول المطر الشديـد... والبرق على وشـك ان يشتد وقفت فيفيـان امام البـاب ونظرت... وجـدت ان طـارق غـارق بين يـديـه بتفكيـر عميق... وكـأنـه يعـاني من الم

مـا... قلقت، ثم اندفعت نحـوه بلهفة اقـتربت ووضعت يـديهـا وحضنت رأسه بلطف وقربته الى صدرها وهي تسجد على ركبتيهـا قائلة.

«مـا بك يـا طارق، اني قلقـة، قلقة جـداً، عندمـا ارالـ تضـع رأسـك بين يديـك وكأن العـالم بأثـره فـوق ذلـك الشعـر الاسـود الجميل، انك تخيفني هل هناك ما يقلقك؟».

اجلس ظهره ورفع وجههـا بين يديـه مما زاده اشـراقاً من انـوار الحديقة الخـافتة، امسـك عنقها بلطف وقـرب وجهها الى صـدره البارز بعضله المثير... ثم قال لها.

«يا طفلتي الحبيبة... آه يا فيفيان لو تعرفين كم احبك».

«اعرف يا طارق، انا اشعـر بذلـك... ولكن لماذا انت دائمـاً حزين».

«انت مـلاك يا حبيبتي، انت غـاليـة... غـاليـة جـداً... لـو تعرفين كم غلاوتك عندي».

«اعـرف ذلك يـا طارق اني اشعـر بك، وانت ايضـاً غالي... غالي جداً ولا استطيع ان استغني عنك ولا لحظة واحدة».

«قـرب شفتيه من فمهـا وطبع قبلة نـارية اشعلت تلك العـاطفـة المتوهجة في قلبيهما... حضنها بقوة ولم يعد قادراً على الابتعاد عنها، شدها اكثر الى صدره حتى سمع صـوتها من شـدة العاطفـة ثم همست له قائلة.

«كم احبـك... انـا اتمنـاك يـا طـارق واريـدك من كـل قلبي...».

جلست الى جـانبه على المقعـد الحجري وعـانقته بقـوة اخاذة وهاجة وتبادلا القبل بجميع انواعها المثيرة... لم يعد يحتمل لقد

كان كالعاصفة التى على وشك الوقوع... نظر اليها بعينين تملأهما الاثارة وقال لها.

«انت لي... يا حبيبتي، ولن ابتعد عنك».

ثم عاد العناق ليأخذ مجراه من جديد على عنقها وكتفيها وشدها اليه من جديد وحاولت ان تطلب منه اكثر من ذلك وكان على وشك الغوص بعمق تلك العلاقة، ولكن المطر اخذ بالهطول رويداً رويداً حاول ان يبعدها عنه... ويدخلها الى البيت ولكنها رفضت واستمرت بذلك العناق المثير لم يعد يستطيع السيطرة على ذاته مما دفعه الى تقبيلها بوحشية الفارس العربي المتمرد على التقاليد العريقة لم يعد للقيود من مكان بينهما فهي له الآن بكل ما تملك من جمال المرأة انها له في تلك اللحظة المشتعلة... اخذت العاصفة تشتد والبرق يلمع بخوف وهطل المطر بغزارة عليها وكأنه يحاول ان ينتشلهما من تلك البقعة الوهاجة ولكنها لم تبالي... تابعت مداعبتها له... مما اجبره على دفعها بقوة قائلاً لها.

«كفى... كفى... ارجوك توقفي انت تجعليني اشعر بالجنون».

ابعدها عنه ولكن المطر كان قد بللهما تماماً وكانت تلك القبلة القوية مليئة بمياه المطر على شفاههما مما اثاره كثيراً واجبره على دفعها الى الوراء والتخلي عن ذلك الوميض في اعماقه الذي كان يطلبها بقوة ابعدها بقوة... كانت المياه تنساب من بين اجفانها وشعرها على وجهها وثيابهما مبللة تماماً ثم قال لها.

«اني آسف يا حبيبتي... ولكني لا احب ان استعجل... انا اريدك ولكن ليس الآن... انا اهتم بالمراسيم واحب ان تكوني

اجمل عروس في ذلك الوقت».

«حسناً يا حبيبي ولكني لا استطيع الانتظار كثيراً».

حملها بين يديه وهو يعانقها بقوة ويداها تحيطان بعنقه، ادخلها الى البيت... وكانت نور تبحث عنهما وشهقت لدى رؤيتهما مبللان تماماً... ضحكت... واسرعت لتأتي بالمناشف ولكن فيفيان اوقفتها بالقول.

«مهلاً يا نور سوف ندخل الى غرفتي، وهناك يستطيع طارق ان يجفف ملابسه».

«حسناً يا حبيبتي كما تريدين».

قالت نور وهي متعجبة من تصرفها المجنون.

استمر طارق بتقدمه وهو يحمل فيفيان بين يديه حتى وصل الى غرفتها وسمع صوت نور وهي تقول لهما.

«لا تتأخرا ان طعام العشاء جاهز، والا سيبرد».

رمى بها على السرير... بشكل عشوائي وهو يضحك عليها مما دفع الغيظ الى وجهها... فما كان منها الا ان نهضت واندفعت نحو الخزانة وتناولت منشفة كبيرة ورمت بها على وجهه بقوة ودنت منه واخذت تنشف له رأسه بكلتا يديها بوحشية... مما ازعجه بلطف... واخذ يبعد يديها ولكنها استمرت بهذه المداعبة ثم دفعت به الى السرير والقت بجسدها عليه ووقعا محدثان ضجيج كبير توقفا فجأة بعدما شعرا بأنهما سيزعجان كل من في المنزل، ثم اطلقت فيفيان ضحكة فرقعت بأرجاء الغرفة... ثم نهضت عنه... ووقفت بشكل مغري وقالت له.

«استدر قليلاً».

«لماذا يا حبيبتي».

«استدر اريد ان اغير ملابسي، او لعلك تريدني ان ابقى هكذا»

«كلا... كلا... لا اريدك ان تمرضي...».

«وانت ايضاً يجب عليك ان تغير ملابسك».

«انا لا استطيع ليس هناك من ملابس لي... وانا على وشك العودة الى الفندق».

«كلا لن تعود، ان العاصفة بدأت الآن، ولن تنتهي قبل ساعات، ولا تستطيع الخروج في هكذا طقس ان القيادة خطرة لكثرة المنعطفات، وانا لن اسمح بتفريط حياتك... سوف تبقى هنا وغداً نذهب في الصباح الباكر للبحث عن شقة لنا هل انت موافق».

«لا اعلم انت دائماً تفرضين الاشياء التي احبها...».

ثم استدار... وبدأت فيفيان بتغيير ملابسها وكان فضوله الرجولي يشجعه على النظر ولكن التقليد الاخلاقي كان يمنعه من ذلك... عندما انتهت طلبت منه ان يستدير لينظر ناحيتها فجأة... وجد امرأة... امرأة بكامل انوثتها تقف بذلك الروب الساتان الناعم والدانتيل المزركش على صدرها الذي يكشف عن عنق طويلة نحيفة... والاكمام المنفوخة تذيدها طفولة... كانت تبدو كالاطفال الذاهبين الى النوم... ضحك طارق من كل قلبه وهو يرمقها بنظرات استهزاء قائلاً.

«لقد اعتقدت بأنك ستقومين بمشهد مغري بروب يكشف عن صدر وساقين وو....».

ثم عاد الى الضحك على ذلك الروب المغلق من عنقها حتى قدميها... قالت له بعصبية.

«ان هذا اجمل روب املكه... ارجوك لا تضحك علي...

انا اشعر فعلاً وكأني طفلة في الثانية عشر، ولكن صدقني انا لا املك قميص نوم خلاعي، جميع ملابسي هكذا مستترة ناعمة ولذيذة كما اراها».

«هذا واضح تماماً».

«هل تهزأ مني الآن».

«كلا انا الاطفك فقط، وما هذا الذي تحمليته في يدك؟».

«انها بجامة رياضية كانت شقيقتي قد اتت بها لزوجها ثم تركتها هنا، واعتقد انك تستطيع استعمالها فهي بمقاسك».

«حسناً».

اخذها من يدها... وقف يتأملها ولا تزال الابتسامة الصغيرة على ثغره ثم قال لها.

«الا تريدين ان تستديري قليلاً؟».

«حسناً، ولكن... لا... لا شيء».

استدارت ثم خلع قميصه... ولكن فيفيان لم تستطيع ان تسيطر على فضولها في النظر اليه استدارت ملقية نظرة، وتفاجئت به... انه فارس بكل ما للكلمة من معنى بذلك الصدر البرونزي المليء بالعضل المثير... ارادت ان تحضنه بقوة ولكنه ابتعد راكضاً واضعاً السرير حاجزاً بينهما وهو يبتسم لها باستهزاء ويضع السترة على جسده ثم توسل اليها لتستدير من جديد قائلاً.

«ارجوك الآن استديري اريد ان انزع البنطلون واريدك ان تعديني بأن لا تلتفتي بتاتاً».

«وهل تعتقد بأنني لا املك القدرة على منع نفسي من النظر اليك؟».

«انا اشك بذلك».

«كلا يا حبيبي انا احبك وسأعمل كل ما يرضيك، والآن سأخرج وانتظرك على طاولة العشاء خذ راحتك... ولكن لا تتأخر؟».

«حسناً يكون هذا افضل».

ثم رمته بابتسامة صغيرة واغلقت الباب خلفها.

نظر طارق الى الغرفة بعينين فضوليتين... نظر الى ذلك السرير المزدوج وتعجب لماذا فتاة مثل فيفيان تملك غرفة بسرير مزدوج من المفروض ان تكون غرفة الفتاة بسرير مفرد لانها لا تزال عزباء قال في نفسه هذه الكلمات المليئة بالاستغراب ثم اعجب بالستائر الوردية اللون التي تتناسب مع غطاء السرير وتلك الانوار الخافتة على الجانبين كانت تحسه على الولوج في السرير ونوم حتى الصباح من شدة تعبه ولكنه تذكر ان فيفيان تنتظره. عندما انتهى توجه نحو المرآة ونظر الى نفسه... نظر بعمق الى عينيه ورأى الخطيئة والاثم يغشيان عينيه... ثم القى بنظره على يديه وشعر وكأنهما جمرتان من النار احرقت الاحساس العميق الذي كان يحتويه... عاد الى الواقع... عاد الى الواقع الاليم... الذي لا يعرف الرحمة ثم نظر ثانية الى نفسه بامعان اكثر وقال.

«لماذا يا طارق... لماذا... الا يكفيك ما تعانيه... الم تكتفي بألم واخذ تريد ان تغوص في بحر من الآلام حتى العمق... لماذا ان ولدي بحاجة لي بحاجة الى يدي».

ثم تذكر فجأة ان باستطاعته ان يأتي به الى هنا ويكشف عليه احسن الاطباء ويتابع علاجه هنا... ربما يكون له الشفاء التام... ولكن... فيفيان كيف سيخبرها، كيف ستكون ردة

فعلها وهي التي تعاني من الم قلبها الضعيف، يا الهي... ما هذا المأزق الذي انا فيه، ثم هناك ليلى... ليلى المرأة المسكينة التي تعاني من الوحدة الآن... الا يحق لها بهشام طفلها الوحيد الا يحق لها ان تكون الى جانبه... ما هذا المأزق يا ربي، ماذا افعل، ثم عاد الشحوب الى وجهه من جديد... وعاد القلق والألم يحيطان به... تأخر على فيفيان مما دفعها الى العودة الى الغرفة، وجدته غارق في المرآة بتفكير عميق مؤلم... ثم قالت منهمكة.

«ماذا حدث يا طارق لماذا عندما اتركك اجدك تتألم... لماذا يا حبيبي ارجوك لا تشعرني بأنني عبء عليك، اذا كنت انا السبب فسوف اخرج من حياتك الى الابد».

«كلا... كلا يا حبيبتي، ارجوك لا تضعي نفسك في هذا المكان انت لا شأن لك بآلامي».

غمرها الى صدره بحنان ثم اضاف.

«انت الآن كل ما املك يا فيفيان، عندما تكونين الى جانبي انسى همومي وعذابي، وبرحيلك وبعدك عني اعود الى القلق والوجع المخيف».

«لن ابتعد عنك اذاً...».

وغمرته بقبلاتها الحارة ثم امسكت بيده وتوجها نحو طعام العشاء.

اعتذرت نور لهما وطلبت ان تتناول عشاءها لاحقاً بسبب الرجيم الذي تقوم به... ثم خرجت، جلس طارق مقابل فيفيان ثم اخذت تشير اليه الى الاطعمة اللذيذة وتشرع له كيفية طهيها... تلك الامسية الرائعة وذالك العشاء الشهي... كانت

بالنسبة لطارق شيء حميم جداً مع انسانة رقيقة جميلة ثم قال لها متمهلاً متمتماً.

«فيفيان».

«نعم يا طارق... ماذا هناك؟».

«هل استطيع ان اطلب منك شيئاً؟».

«بالطبع يا حبيبي».

«ارجوك يا صغيرتي... انا بحاجة الى فنجان من القهوة الآن، هل تستطيعين اعداده لي؟».

«نعم... ذلك من دواعي سروري يا حبيبي».

ثم نهضت الى المطبخ وتركت طارق وحده من جديد... نظر الى طولة العشاء... وعندما احس بذلك الخوف يبدأ باقتحام افكاره وذلك القلق بالولوج الى اعماقه، ارتبك ونهض بسرعة حاملاً بعض الاطباق... وتبعها الى المطبخ.

نظرت فيفيان اليه ثم ضحكت عندما رأته يساعدها في ترتيب الاطباق وقالت له.

«هل اعطيك مريول المطبخ... اذا كنت تريد مساعدتي في غسل هذه الاطباق؟».

«نعم... انا احب ذلك».

غمرت فمها ابتسامة اعجاب واستغراب واضافت.

«هل ما ارى صحيح ام انه خيال، هل حقاً تريد مساعدتي؟».

«نعم احب ذلك من قلبي... انا لم ادخل مطبخاً بحياتي، وانا احب هذا الآن».

«حسناً يا حبيبي، ولكن الاعمال هنا شاقة جداً».

«انا استطيع تحملها ولكني لا اعرف شيء عن اماكن هذه

الاطباق».

ثم عادت الابتسامة الاستهزائية على شفتي فيفيان المليئتين بالاثارة واضافت.

«حسناً رتبها في الحوض... وذلك السائل على يمينك هو سائل للجلي... انا سأقوم بتنشيفها».

«لا بأس حتى الآن».

قال لها طارق وكانت فيفيان تنظر اليه باعجاب وكأنها لأول مرة تراه... لاحظ طارق نظراتها المثيرة وهو منهمك بعمله، وضحك لأن رغوة الصابون خرجت من الحوض حتى لوثت ملابسه واكمامه والارض وما حوله من كثرة سائل الجلي الذي اسرف بوضعه في الحوض. كانت فيفيان تنظر وهي تضع يدها على شفتيها وتمسك معدتها من شدة الضحك.

سألها بوضوح.

«هل اعرف ما الذي يضحكك؟».

لم تجاوبه بل تابعت ضحكتها بحرية تامة.

«الم تري رجلاً قبل الآن يقف على حوض الجلي؟».

«كلا... كلا يا عزيزي لو تعلم».

ثم تابعت تصرفها هذا مما اغاظ طارق كثيراً.

«انا لا اعرف ماذا اصاب هذه الرغوة لماذا لا تزيل بسهولة، اللعنة انها تزداد كثيراً هل هكذا عادة تغسلون... كلا انا اعتقد ذلك... اشعر وكأنني اقوم بحماقة ما».

اقتربت فيفيان وطبعت قبلة ناعمة على خده وهي تقول.

«انت اجمل رجل يجلي».

«هل تهزئين مني الآن؟».

«كلا . . . كلا انا فعلاً مسرورة بك».

لم تفارق ابتسامتها وجهها . . . ثم قال لها.

«اضحكي . . . اضحكي يا صغيرتي . . . هل هذا يتوجب علي عندما نكون في بيتنا؟».

«لا اعلم، هذا يتوقف على تجربتك الآن».

«انا . . . انا اعتقد بأن هذا جميل . . . جميل جداً . . . ولكن اللعنة على هذه الرغوة انها لا تزال تنساب هنا وعلى ملابسي . . . الهذا ترتدون مريول للجلي؟».

«تقريباً يا حبيبي».

ثم لاحظ بأن فيفيان زادت باستهزائها مما اغاظه كثيراً ثم اضاف.

«انا فاشل في هذا . . . لا تطلبي مني ذلك مرة ثانية، ربما في اعداد الطعام سيكون حظي اوفر في المرة القادمة».

ترك الحوض وابتعد والقى نظرة من بعيد عليه ووضع يده على وجهه محاولاً اخفاء دهشته مما سببه من فوضى في تلك الزاوية . . . ثم اخذت فيفيان الفوطة من يده، واسرعت في توضيب المكان بسرعة فائقة ومهارة جيدة . . . نظر اليها طارق باعجاب ثم قال لها.

«ما هذا . . . ما هذا كم انت جيدة انا اعطيك علامة ممتازة، اما انا اعتقد اني استحق صفراً دائرياً».

ثم اقترب منها ووضع يده على خصرها وغمرها وهي واقفة على ذلك الحوض ويداها مبللتان بالصابون والماء.

احست في تلك اللحظة المثيرة بارتعاش اوصالها، وشعرت بأن يدا طارق تجرأت ولمست الاماكن الحساسة جداً في جسدها مما

افقدها عقلها وشعرت بأن ذلك الشعور اذا لم يتوقف سوف يأتي بنتيجة عكس ما يخططان للمستقبل ثم قالت له بلطف.

«اذا لم تبتعد الآن . . . سوف لن اتركك ابداً حتى الصباح».

ابتعد طارق عنها وقال لها.

«حسناً الى الغد اذاً، سأكون على احر من الجمر».

عندما انتهت فيفيان كان طارق جالساً الى جانبها على الكرسي وهو يرشف قهوته نظرت اليه وسألته من جديد.

«هل اعجبتك القهوة؟».

«نعم انها لذيذة مثلك».

ثم سحبها نحوه ووضعها على ركبتيه واخذ يضمها بقوة مشيراً بيده بعلامة جيد جداً، وقال لها.

«انت سيدة منزل رائعة، اولاً طعام شهي ثم مهارة في الجلي والآن قهوة رائعة وماذا عن السرير هل انت ايضاً رائعة كذلك؟».

سألها هذه الكلمات وكأنه يدعوها الى اغوار علاقة حب عنيفة.

ولكنها ذكرته بأنه يجب عليه ان ينام باكراً لأن الغد سيكون يوماً شاقاً في البحث عن شقة لهما . . . ولكنه اسرع في القول.

«ان لي صديق محامي وهو سوف يقوم بهذا العمل عندما سيجد لنا ما يناسب سوف يعلمني بذلك».

«حسناً هذا يخفف من تعب النهار، لأن عملي سوف يكون مرهقاً غداً».

«كلا يا فيفيان ارجوك اني اطلب منك شيئاً يمكن ان يكون صعب عليك ولكني اصر عليه».

«ما هو يا طارق؟».

«نحن في بلادنا المرأة يجب ان تكون في المنزل تهتم

بالاطفال والزوج فقط وانا احب ان تكوني هكذا».

«انا لا استطيع ترك وظيفتي».

«كلا يا حبيبتي لن تتركي تلك الوظيفة، ولكني اغار جداً، واحب ان تبقي الى جانبي في المنزل، واذا كان العمل يشكل سعادة لك، فسوف تقومين بطبع اعمالي الكتابية في المنزل، ما رأيك؟... سأشتري لك كل ما تحتاجينه من أداه للطباعة واوراق وكل ما تستطيعين الاستفادة منه في عملك».

«لا اعلم يا طارق، انا لم افكر».

«واذا انا طلبت منك هذا وهو ضروري جداً بالنسبة لي».

«حسناً اذا كان هذا يسعدك فأنه يسعدني ايضاً». واضافت.

«في الغد سأعلن امام الجميع بأننا مرتبطان واقدم استقالتي للمدير، هل هذا يسعدك؟».

«كثيراً يا حبيبتي، انا لا احب ان اراك مرهقة».

«اذاً لا بأس من زوجة تعمل لدى زوجها، ولكن هل ستعطيني اجري آخر الشهر».

سألته بلطف وبروح النكتة والابتسامة لم تفارق شفتيها.

«كلا سأعطيك اجرك عند كل مساء».

قال لها هذا وهو يضغط عليها ويغمرها بكل ما للقبل من معنى.

«ماذا تعني اجري عند كل مساء، هل هذا يفسر كوننا في السرير معاً و...».

«نعم هذا ما اعتقده».

«ولكن عندها يتوجب عليك ان تدفع اجراً كبيراً من العاطفة المثيرة، لأنني لن اكتفي بعلاقة شفافة سريعة»، واضافت.

«سوف تقضي الليل وانت تدفع اجري حتى الفجر».

قالت له هذا وهي تبتسم له انها سوف تطلب الكثير وذلك يعود لعمق حبها له وقوة مشاعرهما الوهاجة... لن يكون هناك حواجز بينهما بعد الآن.

ثم اضافت وهي تقف امامه تماماً...

«هيا قف يا حبيبي يجب ان ترتاح... لنخلد الى النوم».

عادا الى غرفة الجلوس ثم ذهبت الى غرفتها وعادت له بوسادة وغطاء سميك لينام على الاريكة الكبيرة... ثم استلقى عليها ووضعت فيفيان الوسادة تحت رأسه والقت عليه الغطاء خاصتها وكان يعبق بعطرها الخفيف الناعم ثم قالت له.

«نم يا حبيبي نوماً هنيئاً».

«وانت ايضاً اتمنى ان تكوني دائماً في صحة جيدة».

ثم طبع قبلة نارية على شفاها الغليظة والقت عليه نظرة ابتسامة مسائية ثم دخلت غرفتها، واندست في فراشها تغط بنوم عميق مريح.

الفصل السابع

لكن طارق لم يغمض له جفن وهو يفكر بذلك القلق الذي اصبح يعرف يعرف طريقه سريعاً اليه... نظر الى النافذة من بعيد وكأنه يتلو صلاة ما وقال في نفسه.

«يجب ان يكون احد ما الى جانبي ليساعدني، يجب ان انتصر على هذا القدر الأليم».

لم يعرف النوم تلك الليلة... كيف ينام واحب الناس الى قلبه يتخبط بالالم.

اولج الفجر وهو ما يزال راقداً بعيون لم تعرف النوم ولكنه توصل الى قرار، انه صعب ولكن افضل من لا شيء... اراد ان يخبر فيفيان بكل ما يملك من قوة والانتصار على قلقه... نعم سوف يخبرها ولكن لا يعلِم ربما ستساعده.

سمع صوت جلبة قوية في الحديقة قام بسرعة ونظر، كان السيد اوليفر يقوم باعمال الحديقة... اقترب طارق اكثر منه وخرج الى الحديقة وقال له.

«صباح الخير سيد اوليفر».

«صباح الخير يا بني، هل نمت جيداً؟».

«نعم شكراً».

«اني آسف لم اقصد ان ازعجك ولكن هذه العربة اللعينة دائماً تعطي هذه الأصوات القوية، انا آسف مجدداً».

«لا بأس يا سيد اوليفر لقد كنت مستيقظاً طوال الليل».

«الاحظ ذلك يا طارق... ان عيناك تحيط بهما هالة من الاحمرار... ارجوك يا بني ان تحافظ على صحتك نحن بحاجة لك الآن كثيراً».

قال له هذا والحزن يملأ وجهه.

«ولكنك يا سيد اوليفر انت ايضاً على ما اعتقد لم تنم جيداً وذلك ايضاً ظاهر على وجهك».

سأله طارق بقلق.

«وهل تعتقد ان فيفيان لا تمثل شيئاً بالنسبة لي، انها ابنتي الحبيبة المطيعة التي رفضت الزواج مئات المرات لتبقى الى جانبي بعد وفاة والدتها وخاصة عندما قامت بتربية شقيقاتها الست وكانت بحاجة الى الراحة التامة... ولكن ذلك لم يساعدها عندما تعرفت على انطوانيت زوجتي الثانية، كان ذلك ما يرهق فيفيان في اعداد الطعام لنا والاهتمام بحاجات المنزل وخاصة الاهتمام بي انا، لقد كانت ابنتي وزوجتي وشقيقتي... وعندما افكر بأنني سأفقدها، ذلك كطعن السكين في قلبي، اشعر وكأنني سأموت قبلها».

اجهش بالبكاء كالأطفال وكانت المرة الاولى التي تكتسي عيناه دموع ساخنة، مما دفع طارق الى القول.

«ارجوك يا عمي، انا بحاجة لك الآن، بحاجة الى تشجيعك، وليس الى احباط عزيمة، ارجوك كف عن هذا الحزن لأن فيفيان

تحضر لك القهوة وسوف تأتي في أية لحظة ولا اريدها ان تلاحظ حزنك او ان تعرف اي شيء عنها. . . ارجوك يا سيد اوليفر».

«حسناً يا بني. . . سوف. . . ».

وابعد والدها يداه ومسح دموع عينيه. . . ذلك العجوز كانت عاطفته صادقة تطفو في قلبه ولم يستطيع مقاومة حزنه فأطلق العنان له ليمتلكه ولكن طارق اوقفه، اوقف ذلك الالم بقوله من جديد.

«ان فيفيان سوف تتحسن صدقني، لأن الطب تقدم كثيراً وسوف يجد العلاج لها انا متفائل جداً يا عمي».

«اتمنى ذلك يا بني».

ثم فجأة كانت فيفيان تطل باشراقة صافية تحمل صينية القهوة بيدها وهي تقول.

«صباح الخير يا اعز مخلوقين على قلبي».

«صباح الخير يا بنيتي».

قال لها والدها واقترب منها وطبع قبلة ساخنة على وجنتيها.

ضحكت فيفيان قائلة شكراً يا والدي انا احبك جداً».

ثم اضاف والدها.

«انظر يا طارق الى هذه الطفلة التي تضج بالعاطفة، لقد ضحت بحياتها من اجل تربية شقيقاتها الست. . . وهي مليئة بالعطف والمحبة للجميع لقد احبت الخير للجميع كانت تكرس اوقاتها للاطفال في الميتم. . . وحتى انها لم تجد وقت للحب في قلبها اني اتعجب كيف وجدت طريقك الى قلبها انه مفعم بالعاطفة وليس هناك مكان خالٍ لاحد وانت الأول في حياتها وارجو ان تكون على قدر المستوى تجاه هذا البركان المشوهج

بالعاطفة».

ضحكت فيفيان لوالدها شاكره.

«شكراً يا والدي، ان طارق يقدر ذلك».

ثم نظر والدها الى الازهار في الحوض وهو يقول في نفسه.

«ارجوك يا الهي اعطني القوة. . . القوة. . . انا بحاجة لها الآن، لا تتركني الآن. . . ارحم هذه الطفلة التي هي بعمر الزهور، يا الهي خذ قلبي وضعه في ذلك الصدر الصغير وابعد عنها الالم».

كادت الدموع ان تسيل من جديد من تلك المقلتين العجوزتين ولكن طارق اوقف حبل تفكيره قائلاً له.

«يا سيد اوليفر اني اطلب منك ان تحدد موعداً للزواج لنا. . . في الوقت الذي يناسبك».

«انتما اللذان تقرران ما يسعدكما. . . وكل شيء انا موافق عليه».

اقتربت فيفيان بعطف من والدها شاكرة من جديد قائلة.

«شكراً يا والدي وانا اعدك بأنني سأكون الى جانبك كل يوم سآتي اليك، ونور سوف تبقى الى جانبك».

«كلا يا حبيبتي لن يقوم مكانك احد فأنت تحتلين قلبي بجميع جوانبه انت طفلتي الحبيبة، ولن يملأ احد مكانك».

«يا حبيبي يا والدي ان كلامك يحسني على عدم تركك ابداً».

«كلا يا حبيبتي. . . تابعي حياتك وخذي حصتك منها، فأنت ضحيت ما يكفي وانا سأكون هنا بانتظارك دائماً».

«هل ستبقيان على هذا المنوال، انه لشيء محزن. . . انا سأبكي من الحزن».

قال طارق وهو يضحك مستهزءاً ثم اضاف.

«جهزي نفسك يا فيفيان سوف نذهب الى المحامي ليقوم بتحضير الشقة لنا التي ستلفنا الى الأبد».

«حسناً يا حبيبي» قامت ودخلت الى غرفتها لتستعد.

«سوف امر بطريقي عند الدكتور ليلقي عليها نظرة يا سيد اوليفر، واذا تأخرنا لا بأس لا تشغل بالك».

«حسناً يا بني انا مطمئن عليها، انا لا اعرف ماذا افعل بدونك».

عادت فيفيان بذلك الجينز والتيشرت والكنزة الصوفية الحمراء وتأبطت ذراع طارق كالاطفال وانطلقا بالسيارة السوداء الكبيرة... متوجهان نحو المحامي.

بعد وصولهما الى المرآب واوقف طارق سيارته وصعدا الى مكتبه... وبعد محاورة طويلة واخذ ورد اعرب المحامي عن رأيه في شقة موجودة الآن على البحر، وهي ذات غرفتي للنوم وغرفة للجلوس وصالون وغرفة طعام ومنافعهم الخاصة... انها تطل على شاطىء عاجي رائع خلاب هذا ما قاله المحامي... ثم اعطاهما العنوان والمفاتيح مرشداً لهما عنها...

فرحت فيفيان بكون تلك الشقة على الشاطىء... فهي لطالما حلمت ان يكون لها منزل على الشاطىء لانه في اعماقها تغوص نحو المياه الباردة كانت تحب السباحة ولكن الوقت لم يتيح لها الفرصة لممارستها والآن حان الوقت للتفرغ لما تتمناه.

انطلقت السيارة ولكنه اراد التوقف عند الفندق الذي كان ينزل فيه ليأتي بحاجاته ويسأل ان كان هناك اتصال من تونس.

توقف امام الفندق وبقيت فيفيان داخل السيارة تنتظر.

دخل وسأل الفندقي عن الاتصالات الهاتفية فقال له.

«اين انت يا سيد طارق، لقد اتصلت زوجتك اربع مرات حتى الآن وتركت لك رسالة ضرورية».

سحب شريط التسجيل من التلفون واعاد صوت زوجته على سمع طارق قائلة.

«طارق انها المرة الثانية التي احاول ان اتصل بك، ان هشام عادت له النوبة من جديد وانا خائفة جداً اتمنى ان تعود في اسرع وقت ارجوك، ان تعود قبل ان افقد صوابي».

ثم انقطعت المخابرة... ضج الالم في اعماقه واعتصرت عيناه دمعة حارة استطاع ان يخنقها... ارتعشت اوصاله ووضع يده مستنداً على حافة الطاولة ثم استدار ببطء متوجهاً نحو المصعد... وصل غرفته وهو يتخبط بآلام اللوعة والشفقة وهو يتمتم.

«يا الهي... ساعدني... ساعدني ارجوك».

ثم وضب ملابسه في حقيبته السوداء عاد مسرعاً الى السيارة كانت فيفيان بدأت تقلق عليه ثم سألته.

«لماذا تأخرت يا طارق؟».

لم يجاوبها استمر بصمته طوال الطريق مما اغضبها كثيراً ثم رددت سؤالها مرة ثانية... بعد عدة دقائق... نظر اليها بعينين مليئتين بالغضب وقال لها.

«يجب ان اسافر حالاً الى تونس».

«ولكن ماذا اصابك».

«ارجوك ان تتفهمي وضعي... انا مضطر للسفر يا فيفيان لامر ضروري».

«اريد ان اعرف... وبسرعة».

«لا استطيع يا حبيبتي... ارجوك ان تنتظريني، سوف اعود باسرع وقت ممكن».

«ولكن...».

«اني اتوسل اليك انا بحاجة ماسة للسفر الآن وعلى اول طائرة».

«انك تؤلمني هكذا».

«لا يا حبيبتي، اعدك بأنني سأعود وجهزي انت الشقة بالفرش الملائم الذي ينال اعجابك... وحضري فستان الفرح».

«حسناً يا حبيبي اذا كان هذا ما تريده، ولكن ما هي المدة التي ستقضيها في تونس».

«لا اعلم... ربما شهر او شهرين على الاكثر».

شهران!؟ ان هذا كثير.. كثير جداً».

«ارجوك يا حبيبتي اصبري قليلاً على الاقل شهران».

«حسناً سأتسلى بتوضيب الشقة وتجهيزها بالأثاث الجميل... سوف انتظرك على احر من الجمر».

عندما وصلا الى مركز المطار... غادر طارق يسأل عن اقلاع اول طائرة الى تونس، وكانت فيفيان تسير الى جانبه بخطى سريعة مذهولة باللذي يجري كانت تتبعه كيفما توجه وكأنها طفلة ولكنها كانت تراقب تحركاته عن كثب ووعي تام... قطع التذكرة ثم توجه نحو السيارة عائداً ومتأبطاً ذراع فيفيان برفق... استقلا السيارة وانطلقا الى بيت فيفيان وهناك كان والدها خارجاً في نزهة بالقرب من المنزل وصادف مرورها من امامه مما دفع طارق ليسأله الصعود الى جانبه ثم فعل والد فيفيان ما طلبه من طارق وعادا الى

المنزل ثانية دخلوا وغابت فيفيان لتحضر طعام الغداء بمساعدة شقيقتها نور عندما شعر السيد اوليفر بارتباك وشحوب طارق والمه الواضح تماماً على وجهه ثم سأله.

«فماذا يا بني، ما هو الامر الضروري الذي دعاك للسفر المفاجىء؟».

«انه... انه... ولدي يا سيد اوليفر، لقد عادت النوبة من جديد، وهم يطلبون مني العودة في اسرع وقت ممكن... انا... انا يجب ان اسافر الآن وفي خلال ساعات سأكون في تونس، أرجوك سيد اوليفر ان تساعد فيفيان على تحمل سفري وان لا تدعها تذهب الى العمل ثانية لدى سفري».

«حسناً يا بني... ولكن الا تريد ان تخبرها سبب سفرك المفاجىء؟».

«لا... لا استيطع يا سيد اوليفر ان هذا صعب، صعب جداً وليس علي ان افقد اثنان دفعة واحدة يكفيني السفر الى ولدي الآن الذي هو بحاجة لي».

«وكم سيطول سفرك يا بني؟».

«لا اعلم ربما شهر او على الاكثر شهرين، ولكن اذا طالت غيبتي اكثر ارجو منك ان تساعد فيفيان على تفهم الامر وان لا تفقد الامل في عودتي».

«حسناً... حسناً كما تريد».

قال له والدها... بعد ان لاحظ اقتراب فيفيان منهما، ثم سمعاها تقول.

«انظر يا ابي... طارق يريد ان يسافر بدوني... كم انت قاس القلب يا طارق».

«ارجوك ان تقدري موقفي».

«وانت لا تريدني ان اعرف سبب سفرك... هل هذا عادل يا ابي؟».

«لا بأس يا بنيتي لقد اوضح لي السيد طارق سبب سفره وانا اوافقه ولا يجب على النساء ان تعرف شيئاً عن هذه القضية، انها قضية خاصة جداً».

«ماذا يا ابي انت الآن واقف الى جانبه بدلاً من ان تكون الى جانبي».

ثم اضافت.

«انتما اتفقتما عليّ، اليس كذلك؟».

ضحك الجميع وكانت ابتسامة طارق غارقة حتى اعمق شفاهه... حزينة.

تناولوا طعام الغداء... اقترب طارق من فيفيان واعطاها زهرة بيضاء ثم قال لها.

«هذه الزهرة انها قلبي الابيض نقي... لا يشوبه كذب او افتراء انه ابيض ناصع وهو مليء بحبك وارجوك مهما طالت غيبتي احتفظي بهذه الوردة لانها مني وسوف تبقى لك الى الابد».

احست فيفيان بالحزن في عينيه ثم استعدا لوداعه...

«كان الله بعونك يا بني».

قال السيد اوليفر وهو يطرق برأسه ثم تركهم الجميع وبقي طارق وفيفيان لوحدهما في الغرفة، اقترب منها وامسك بيديها الصغيرتين وقبلهما بقوة وشغف وقال لها.

«سأشتاق لك يا اجمل عصفورة في حديقتي».

«وانا ايضاً لن انام ابداً سأبقى في انتظارك يا حبيبي، ارجوك لا

تتأخر».

نظر اليها والدموع تكاد تخرج من مقلتيه... العطف والصدق يتدفقان منهما بغزارة، نظر اليها بكلتا عينيه، وبادلته نفس النظرات وكأنها احست بأنها لن تراه بعد الآن، غمرته بشدة وقالت له.

«عد... عد يا طارق بأسرع ما يمكن قبل ان افقد نفسي... عد قبل ان اموت من الشوق».

وضع يده على فمها وهو يمنعها من النطق بهذه الكلمات... الموت... الموت هذه الكلمة تعني له البعاد المميت والفراق الموجع الى الابد والحي الميت سيكون هو.

«ارجوك يا حبيبتي لا تلفظي هذه الكلمة ثانية».

ثم طبع قبلة على فمها اللاهب وارتعشت اوصالهما معاً حتى غابا في غمار العناق الشديد ثم احس طارق بأنه يجب ان يرحل الآن، وبكل قوة، ابعدها عنه بلطف مودعاً بابتسامة عميقة خلابة تكشف عن اسنانه الناصعة البياض، وخرج الى حيث الالم الاكبر.

استقل الطائرة المتوجهة نحو تونس... وبعينين مليئتين بالشرود كانت صور الماضي تتراقص امامه... خوفه على هشام يزداد كلما اقتربت الطائرة اكثر... وخوفه على فيفيان يصعب كلما احس بأنه ابتعد كثيراً ولكن هشام اهم، انه طفل وبحاجة لابيه في هذه اللحظة لن يدع مشاعره الخاصة تتغلب على عاطفته ومحبته لطفله القابع في غرفة المستشفى وحيداً بين جدرانها البيضاء... اما زوجته ليلى فهي زوجة على ورق فقط وامام الناس، لكنها ليست كذلك بينه وبينها فهما منفصلان، انفصالاً عميقاً منذ سنوات... لم يتفقا ابداً، ولم يدخل الحب الى

قلبيهما. . . وكان الرابط الاقوى بينهما هشام ذاك الطفل الرائع بخدوده المنتفخة الحمراء وشفاهه الغليظة وكلماته المتقطعة التي لم تكتمل بعد، وشعره الاسود الداكن الاشعث يزيده جاذبية.

كانت هذه الصور تتراكض في مخيلة طارق، توقفت للحظات امام وجه هشام ولحظات امام وجه فيفيان، ولكن لم يكن لوجه زوجته ليلى اي تقارب بينهما، لقد خرجت من ذاكرته واعماقه، ولكن انها زوجته الآن ويتوجب عليه القيام بواجبه الزوجي ولكن كيف وجميع احاسيسه اتجاهها قد ماتت بوجود حبه لفيفيان. . . انه قلق كيف سيواجهها. . . كانت بالامس زوجة بالسرير ولكن بدون اي شعور او احساس عميق. . . كانت علاقتهما هشة كفقاقيع الصابون مليئة بالمشاكل.

هل ستعرف. . . هل ستشعر بتبدله المفاجيء. . . ثلاث سنوات كافية لتجعلها تفهم بأنه لم يعد يريدها كزوجة.

اوقفته تلك الابتسامة الصامتة من شروده لتسأله اذا كانت هناك مشاكل يعاني منها لدى صعوده الطائرة. . . ثم اذا كان يحب ان يتناول شيئاً. . .

«لا شكراً».

كانت المضيفة بزيها الارجواني توزع ابتسامات هنا وهناك وتقوم بعملها على اتم وجه. . . نظر طارق اليها والى اشراقها، وتلك الابتسامة التي لم تفارق شفتيها، وتمنى لو يكون بنفس مقدرتها على الابتسام للجميع، من المفروض ان لديها حياتها الخاصة، وان هناك حزن ما يعيش في عقلها. . . ولكنها استطاعت ان تتغلب عليه بحكم عملها ولو لساعات طوال، ان هذا العمل يساعدها على الاستمرار ثم تمنى من جديد لو انه

يستطيع ان يمثل على نفسه ويخترع الابتسامة على شفتيه، ويتخطى آلامه بكل ثقة.

www.elromancia.com

الفصل الثامن

اعلنت المضيفة عن وصول الطائرة الى الاجواء التونسية، وطلبت من المسافرين ان يضعوا حزام الامان، وان يمتنعوا عن التدخين... لاحظ طارق ان نبضات قلبه تسارعت اكثر وشعر وكأن الاغماء على وشك ان يأخذ طريقه الى جسده، مما دفعه الى النظر من النافذة... وهو يضع الحزام، بدا وكأنه خائف من السقوط، الرجل الجالس الى جانبه قال له باطمئنان.

«لا تخف يا سيد، سوف نهبط بسلام».

ولكن خوف طارق ليس من الهبوط بسلام او بآخر، كان خوفه من الحقيقة المؤلمة التي هي اقوى من اي شيء آخر... خوفه من السقوط في احضان الموت سيطر عليه، خوفه على ان يرى هشام وهو جامد بلا حركة يكتنفه السكون والجليد... خوفه من تلك السنين الثلاث التي قضاها بعيداً عنه، وخوفه من المواجهة العنيفة لزوجته.

كان الواقع يحمل اليه الألم العميق... العاصف بالعاطفة الصادقة...

للحظات طوال ثلاث سنوات لم يكن صادقاً مع نفسه مثل هذه

اللحظة، القلب الصامت يخاف منه... دائماً يكره الصمت بجميع انواعه، لم يعد قادراً على تحمله... تمنى ولو للحظات ان يكون احد ما الى جانبه... فهو الرجل القوي العنيد، الفارس الاسمر الذي يتمتع بكل شجاعة الارض وقوة الصحراء وجمال الليل، ولكن قلبه كان مفعم بالعاطفة والرقة.

ان شجاعته وشهامته لا تعرف الشر، مكمن للحلم والحب وذلك الفؤاد بين ضلوعه، تلك العينان الصغيرتان كانت هدفه الآن.

عندما نزل الركاب كان طارق، ينظر بعينه نحو البعيد، البعيد جداً، لعله يرى طفله هشام بين الناس المحتشدين يركض نحوه ويضمه بكلتا يديه الصغيرتين ويقبله كما لم يقبله من قبل... انتظر وحول نظره من جديد وهو يلقي بأقدامه نحو الامام على الارض... خطوة بعد خطوة... ولكن هشام لم يكن هناك، كان بانتظاره الحزن والقلق والالم نظر اليهما بعينين يملؤهما تحدٍ عنيف... مريع.

توجه نحو مركز الاستقبال... وعيناه لم تفارق الحشود الكبيرة من الناس، تناول حقيبته وانطلق في السيارة المتوقفة امام مدخل المطار المخصصة للركاب تجمع الشوق واللهفة من جميع انحاء العالم في قلب طارق الكبير، ووجّهه نحو ذلك الطفل البريء المسيج بالمرضى والضعف، لم يكن مثل الاطفال، يلعب ويتنزه... كان ضعيف البنية قليل الارادة والسيطرة على نفسه، لقد طغى عليه واستبد به قلبه الصغير وتحول من سبب استمرار حياته، الى مسبب في تدميرها.

مسح قطرة من العرق انسابت على جبينه... وهو ينظر من

النافذة بشوق نحو تلك الارض الطيبة التي لم يراها منذ زمن...
لقد عاد الآن، ويطلب من الله ان يساعده على الاستمرار بوطنه، ويتخطى هذه الازمة بقوة وحزم.

لقد كان رجائه، الايمان بالله... ومساعدته، الدين وكتابه الامين... لقد استعان بالصلاة للشفاعه له... صلىّ بأعلى صوته المخفي الغير مسموع.

وصلت السيارة ومن بعيد وقبل ثواني من توقفها... لاح له بيته المؤلف من طابقين، احس بالحنين يلفه من الجانبين والشوق يغلف نوافذه، والبوابة الكبيرة السوداء فتحت وكأنها ذراعان قويتان تفتحان لتضمانه بقلق، تلك البوابة... كانت الوحيدة القادرة على انتظاره واستقباله بشوق فتحت ذراعيها ليرتمي بينهما... قضبان من الحديد تسيج منزله كالقضبان التي تقيد اوصاله ويديه.

ذلك السياج الذي يحيط بالمنزل المرتفع جعل اللهفة والخوف يسيجان قلبه بكل ما يحتوي من قيود في هذه الدنيا.

نعم، تلك القيود التي يجرها خلفه، وكأنه اسير يخبط بعذاب جلاده... هكذا وصل الى منزله وكأنه كومة من الغبار، تلاشت امام تلك الدرجات الثلاث اشلاء، لم تكن اوصاله سوى اشلاء مقطعة كالغبار.

لملم اشلائه وبحث بين المفاتيح التي يحملها عن مفتاح ذلك الباب، وكأنه يفتح ابواب العالم المغلقة، دخل... وكان لدخوله وقع كبير في نفسه، نظر حوله ووجد بأن كل شيء ما يزال كما هو، لقد كان سفره طويلاً كثيراً عليه، ولكن ليس على المنزل، لم يتغير فيه شيء، تقدم بضع خطوات بخوف وهو ينتظر صوت واحد يرحب به... انه صوت زوجته... انتظر، ولكنه لم يسمع

اي شيء يدل على وجودها، تقدم اكثر نحو غرفة الجلوس، وضع حقيبته على الارض بجانب الاريكة الكبيرة، وكأنه غريب ينتظر من يرشده الى غرفة النوم، او كأنه غير مقتنع بقدومه وهو سيعاود سفره من جديد وبسرعة فائقة... تقدم نحو باب غرفة المطبخ عندما سمع اصوات قادمة من هناك، نظر من زاوية الباب ليجد السيدة ربيعة مدبرة المنزل تتحدث مع البواب وحارس المنزل، للحظات مرت ثم شعروا بوجوده مندهشين وكأن وجوده عقد لسانهم واصابهم بالخرس، تقدم اكثر ليسألهم بعنف.

«لقد عدت، نعم هل هذا يدهشكم» ثم اضاف.

«الستم مسرورين بعودتي؟».

«سيدي... سيدي طارق» تمتمت ربيعة باستغراب ثم ضافت.

«حمداً على سلامتك».

«اهلا وسهلاً سيدي، والحمد لله على سلامتك، ان سيارتك ستكون جاهزة خلال دقائق اذا اردت» قال له البواب.

«شكراً سوف احتاجها على ما اعتقد، يبدو ان السيدة ليلي غير موجودة».

«انها في المستشفى مع هشام سيدي».

اجابته ربيعة وهي تنظر بعينين حزينتين الى الارض.

«حسناً، جهز لي السيارة الآن وحالاً» قال للبواب بحزم.

«ولكن سيدي الا تريد ان ترتاح قليلاً؟».

«كلا لن ارتاح قبل ان ارى هشام».

«انه بخير... انه... لا اعلم لا استطيع ان اشرح الوضع» قالت له ربيعة بقلق.

«اعرف يا ربيعة... اعرف ارجو منك ان تضعي حقيبتي في الغرفة».

«حسناً سيدي» ثم اضاف.

«ولكن الا يوجد فنجان قهوة جاهز».

«نعم سيدي انه جاهز تماماً».

ثم اقتربت من القهوة ووضعت فنجان لطارق... رشفه بسرعة وهو ينظر الى الحديقة منتظراً السيارة.

وما هي الا لحظات حتى كانت سيارة الجاكوار تقف امام المنزل... اسرع بالخروج، وانطلق بها وهو بشوق لقيادتها من جديد.

انطلق بسرعة البرق... متوجهاً نحو ولده هشام، عندما وصل شعر بالخوف يتسارع اكثر فأكثر... صعد الادراج بخطى واثقة، ولم ينسى هديته الجميلة، نظر اليها بعينين دامعتين ثم تمنى ان يراها هشام.

الممر طويل، طويل جداً، وجدرانه البيضاء عميقة بأنوارها لم يجد اي امل على وجود زوجته هناك... لقد كان خال تماماً مثل جسده الخال من القوة الآن... تقدم وكانت خطواته تسمع في ارجاء الممر وفجأة لاحت له ممرضة بثوبها الناصع اقترب وسألها عن فلذة كبده واشارت له انه في الغرفة رقم ٣١١... تقدم ونظر الى الغرفة بسرعة قارءاً ارقامها وفجأة وقع نظره على غرفة الاحزان الموحشة والطفولة المرهقة.

فتح الباب، كانت الغرفة خالية الا من هشام... نائم كالملائكة، انفاسه متسارعة والمصل بيده يبعث الروح في جسده الصغير.

دنا ببطء نحوه... وقف فوق رأسه تماماً، نظر اليه ثم انسابت دمعة ساخنة على خده عندما رآه بهذا الضعف، لقد مضى زمن طويل حوالي ثلاثة سنوات، لقد تغير واصبح كبيراً جداً انه يبلغ الآن الخمسة سنوات، هل يا ترى لا يزال يذكره لم يتوقع ان يتذكره ولكن العاطفة المتوهجة تضج الآن بالشوق المكدس في قلبه.

تململ قليلاً في فراشه وحاول ان يغير نومه الى الناحية الاخرى، ولكنه لم يستطيع بسبب المصل الموصول بيده.

احس طارق بتقلص معدته حتى وصل الى صدره من الالم الذي يعتصر قلبه لدى رؤيته ولده قابعاً يتخبط بآلامه.

فجأة فتح عيناه الصغيرتين بصعوبة وكأنه احس بوجود احد ما الى جانبه، نظر بتمعن ثم اطلق فمه ابتسامة صغيرة وكأنه يحي الشوق الواضع في عيني والده... ابتسم بشده واطلق زفرة لطيفة ثم شاح بنظره علامة الحياء، وعندما حاول طارق ان يطبع قبلة على وجنتيه سمع وقع اقدام الى جانبه، رفع رأسه ليجد زوجته امامه... نظر اليها... ولكنه لم يستطع ان يتفوه ولا ببسمة صغيرة، احس بأنها بعيدة، بعيدة جداً عما يفكر به وعلامات اللوم بادية على وجهها، لم تتفوه بكلمة ولكنه عرف ماذا تريد ان تقول احس بتراكض الكلمات على شفاهها، حتى كلمة سلام لم تطلق شفاهها، همّ ليلقي عليها التحية، ولكن صوت صغير حنون ويد باردة امسكت به وشدته وهو يقول «بابا».

فرح قلبه، ودقت الاجراس في الغرفة، عندما احس بأن هشام عرفه عرف والده ذلك الشعور الابوي وصورة والده التي لم تبارح خياله ما يزال يتذكر انه والده... نعم.

«لقد عرفني».

قال بسعادة كبيرة وهو يدنو منه بقوة حاضناً وجهه الصغير بين يديه وقبله بشوق، بشوق كبير... ثم رفع الهدية الموجودة على طرف السرير وقال له.

«خذ يا بني هذه لك».

وراح يرمقه بنظرات لا تعرف الهدوء، مليئة بذلك الشعور الذي يسمونه عطف الابوة وحنانه.

فرح هشام وغمر الهدية بلطف بيد واحدة، ونظر الى والدته وسألها اذا كان باستطاعته الاحتفاظ بها...

اشارت له «بالطبع تستطيع انها من والدك».

لكنه لم يستطع ان يفتحها... فأطلق فمه اشارة حزن وانزعاج من تلك الانابيب المحيطة بصدره الصغير مما دفع طارق الى الاسراع في فتحها، كانت عبارة عن جهاز ملون يطلق الصور المتحركة الجميلة بأصوات واضحة وكأنه شاشة تلفزيون مصغرة تعمل على البطارية.

ضحك من كل قلبه لتلك الصور التي تراكضت على الشاشة وعلت ضحكته في الغرفة.

ثم عادت يده الصغيرة لتمسك بذراع والده بشدة... وكأنه يقربه منه... دنا طارق قليلاً وهمس بأذنه كم يحبه.

«وانا ايضاً احبك كثيراً، هل ستبقى يا والدي؟».

سأل هشام والده مما اربكه.

«نعم يا حبيبي حتى تشفى تماماً».

«رائع وهل ستأخذني الى حديقة الحيوانات».

«نعم سأنطلق بك الى اجمل الاماكن، وسنشتري اروع اللعب

التي تحبها، سنكون اجمل اب وطفل في العالم».

«شكراً يا والدي، ولكن متى سأتخلص من هذه القيود حول معصمي انها تؤلمني».

«قريباً، قريباً جداً يا حبيبي».

قالت له والدته بلطف ثم اضافت.

«الطبيب سيحدد متى، ولكن ابقى هادئاً ارجوك».

«حسناً يا امي».

الفصل التاسع

دخل الطبيب مصافحاً طارق. . . وطلب منه الحضور الى مكتبه.

تبعه طارق بخطى واثقة وبقيت زوجته ليلى بجانب طفلها الصغير.

تقدم نحو الكرسي امام المكتب وجلس بهدوء منتظراً قدوم الطبيب من جولته على المرضى بكافة الغرف.

انتظر وكان انتظاره مؤلماً وصعباً. . . قطع الصمت صوت اقدام الطبيب القادم من الخارج نظر الى طارق ورماه بابتسامة صغيرة تشير الى امل ضئيل، ثم سأله طارق.

«ماذا يا دكتور هل هناك امل لشفائه».

«ارجو ذلك يا سيد طارق، ان طفلك بحاجة الى صمام قلب وهنا ليست لدينا المعدات الكافية. . . وانا اصر على سفره الى الخارج».

«نعم هذا ما كنت سأطلبه الآن منك، انا مستقر تقريباً في لندن واستطيع ان آخذه معي اليس كذلك، وهناك الاطباء والمعدات الضرورية».

«نعم وانا بدوري سأبقى على اتصال مع المستشفى في لندن، هناك طبيب معالج مختص بهذه الحالات صديق لي سوف اطلب منه ان يهتم بهشام كونه مرضي، وسارسل له الملف وكافة صور الاشعة والتصوير الصوتي وكل ما يلزمه من تحاليل وهو سيقوم بدوره في اعادة فحصها. . . وهكذا. . . هذا سيكون افضل».

ثم عاد طارق ليسأله من جديد.

«حسناً متى استطيع نقله، وهل الطائرة ستكون خطراً عليه».

«كلا انه الآن بحالة جيدة وسوف نتخلص من المصل خلال ساعات، وعندها يستطيع ان يبقى حراً بدونها، ولكن عندما تجهز اوراق السفر وتحدد الموعد سوف نقوم باعطائه الادوية لمنع حدوث اي مضاعفات خلال السفر بالطائرة وستكون هناك ممرضة اذا اردت تبقى الى جانبه وترعاه».

«نعم ارجوك يا دكتور سأباشر حالاً بأوراق السفر وتجهيز ما يلزم لذلك».

صافحه الطبيب متمنياً له النجاح.

خرج طارق وهو يحمل الامل الصغير بين يديه ودخل الى غرفة هشام بوجه بشوش ثم اندفعت زوجته نحوه وسألته بارتباك خافضة صوتها خوفاً من ان يسمعها طفلها هشام، ولكن هشام كان غائباً في اللعبة التي احضرها والده.

«لقد نصحنا بتسفيره الى لندن وتكملة العلاج هناك».

«ماذا؟ وانا ماذا سأفعل».

«لا شيء ستنتظرين مكالمتي».

«لا يحق لك يا طارق».

«كفاك الآن لا يجوز ان يشعر هشام بأننا نتشاجر، في المنزل

سوف اخبرك كل شيء».

«حسناً» وافقت بحنق بعدما غرغرت الدمعة في مقلتيها، مما احزن طارق كثيراً ثم قال لها بحنان.

«لا تخافي على هشام يا ليلى سوف تكون هناك ممرضة للاهتمام به».

«كلا لن اسمح بذلك لن ابتعد عن ولدي».

«هل تريدين السفر معنا».

«نعم ارجوك يا طارق، انا لا استطيع الابتعاد عن هشام انا لست مثلك، لا استطيع الانتظار».

«حسناً كما تريدين والآن دعي الممرضة تهتم بهشام وهيا لنعود الى المنزل».

«حسناً» اجابته برضى تام.

طلبت الممرضة المناوبة واوصتها الاهتمام بهشام كالعادة وتمنت لولدها ليلة سعيدة واقترب طارق منه وطبع قبلة عميقة على وجنتيه وهو يقول له.

«هل تحب ان تأتي معي يا هشام الى لندن».

«نعم، نعم، انا اريد ذلك بالطبع، اليس كذلك يا امي».

«نعم يا حبيبي سوف نكون معاً».

«ولكن الآن اريدك ان تنام جيداً يا هشام لأن الغد سوف يكون يوماً شاقاً للسفر» قال طارق وهو يبتسم لولده المريض بعطف زائد.

خرج مع زوجته وعادا الى المنزل... دخل الى غرفة الجلوس وجلس بتأني متأملاً الغرفة... نظر الى باب المكتب المغلق... لاحظت ليلى نظراته المحدقة بالغرفة المقابلة ثم سألته.

«هل تحن الى الكتب والمكتبة، الا تريد ان ترى مكتبك، لقد مر زمن طويل، لم يدخل احد غيري اليه، لقد كنت اهتم به بنفسي انه الشيء الوحيد الذي استطيع ان اقوم به انه يجعلني اشعر بوجودك هنا دائماً».

«شكراً يا ليلى، ولكني لا استطيع ان ادخل».

«لماذا».

«لا اعلم ربما لاني خائف».

«لماذا انت خائف يا طارق ان البيت بيتك والمكتب مكتبك».

«انا خائف من الدخول... لأن الشوق الى ذلك المكتب يخيفني، اخاف ان اتردد في تركه من جديد، انه الم شديد البعد عنه صدقيني».

«ولكنك ستعود يوماً ما».

«ربما يا عزيزتي».

«هل سنبقى على هذه الحال يا طارق؟».

«انا، لا اعتقد هذا».

«وانا ايضاً لم اعد احتمل، ان فراقك صعب جداً».

نظر اليها بتمعن متفحصاً اجزاء جسدها النحيل، ثم قال.

«لقد تغيرت يا ليلى، لقد اصبحت نحيفة لماذا».

«ان مرض هشام وغيابك مؤلم جداً، هذا ما سبب لي الضعف».

«لكنك ازددت جمالاً».

«شكراً» اجابته وهي تنظر بحياء وكأنها لاول مرة تراه.

«الا تريد الصعود الى غرفتك انها ما تزال كما هي».

«نعم ارجوك انا تعب جداً من السفر».

سارت امامه ترشده الى الغرفة الخاصة بهما... تقدم نحوها بخطى قلقة فتحت الباب بيدين مرتجفتين ثم اشارت له بالدخول.

دخل طارق وهو ينظر الى تلك الغرفة التي تشاركها مع زوجته في الماضي نظر الى السرير الزهري ثم استدار ليجد زوجته تنظر اليه مباشرة بعينين حزينتين ثم اشاحت بنظرها نحو الخزانة وهي تقترب منها ثم فتحت الباب وتناولت بيجامته واعطته اياها ثم ناولته منشفة كبيرة واشارت نحو الحمام وقالت.

«هناك الحمام جاهز اذا اردت ان تستخدمه للاستحمام، الماء سيكون لطيفاً جداً قبل النوم».

«نعم انا بحاجة الى دوش منعش».

«تستطيع ان تدخل الآن اذا اردت كل شيء جاهز».

«حسناً شكراً لك».

قبل ان يدخل نظر اليها نظرة حادة مؤلمة وقال لها.

«انا آسف يا ليلى... انا حقاً آسف، كل تلك السنين لم تكن بيدي حيلة».

«اعرف ذلك يا طارق... وانا مستعدة للاستمرار».

«لماذا... لماذا يا ليلى... هل هشام هو السبب».

«لا اعلم ربما» بل بالعكس قالت ليلى بنفسها انت كل ما املك وهشام هو الرابط بيننا لولاه لما كنت معي في هذه اللحظة، نعم احبك ايها الرجل القوي.

انت وهشام سبب استمرار حياتي، هذا ما كانت تفكر به ليلى ولكنها لم تستطيع ان تعبر له خوفاً من رفضه لها مجدداً فكرامتها لا تسمح لها بالتمادي معه اكثر ضغطت على نفسها بألم... بسبب ما تشعر به من شوق لضمه وتقبيله شوق امرأة الى رجل

غائب منذ سنين ولم تعرف سواه تنتظر لعله يعود، لم تستطع ان تتفوه ولا حتى بكلمة واحدة عن الحب والشوق الذي يعصف بها كان طارق واقفاً امامها بجسده العريض وراحت تنظر اليه بشوق ولكنها اخفت ذلك الشعور حتى انه لم يشعر بها.

اقترب منها وطبع قبلة على جبينها وقال لها.

«شكراً لك يا ليلى على تضحيتك واخلاصك واعتناءك بهشام انت فعلاً عظيمة».

لم تتفوه ايضاً حتى هذه اللحظة، ظلت صامتة تسمع كلامه، انها تطرب لحديثه فهو الشيء الوحيد الذي يستطيع ان يشعرها بالسعادة.

«ارجوك يا طارق ادخل واستحم والعشاء سوف يكون جاهزاً خلال ساعة، واذا اردت سوف آتي به الى هنا».

«سيكون هذا افضل اذا امكن».

خرجت ليلى ووقف طارق ينظر اليها ويتمعن بجسدها الممشوق وهو يتذكر تفاصيله بدقة ولكن الآن فيه شيء غير واضح جديد على طارق احس بشيء غريب يختلج في معدته ثم قال في نفسه.

«ربما هذا من آثار الجوع».

ولكن بالعكس كان الشعور القابع في زاوية قلبه سبب هذا الاحساس العميق تجاه ليلى انها زوجته وهو على علاقة ورابط متين معها ولا يستطيع انكار هذا لا بأس بها حتى الآن، قال في نفسه، مجدداً.

دخل الى الحمام واستحم بلطف واحس بالراحة تستقر في عضلاته الغليظة والمياه المنسابة على جسده البرونزي بلطف

خففت من توتره، عندما انتهى وقف امام المرآة ونظر الى وجهه ليجد ان ذقنه لم تعد مرسومة جيداً فهي بحاجة الى العناية بها من جديد، امسك بالفرشاة والموس واعاد تجميلها ثم نظر مرة ثانية ليجد انها اصبحت افضل... التفت الى الوراء وتناول المنشفة ولفها على خصره وترك القسم الاعلى ظاهراً للعيان بذلك الصدر الضخم الذي يجعل آلاف النساء تسجد امام سحره العنيف... نعم لقد كان رجل بكل ما للكلمة من معنى.

عادت ليلى لتجده واقفاً امام السرير يحاول ان يندس فيه، اقتربت ووضعت الصينية على طاولة خاصة بتناول الطعام في السرير وقربتها من طارق بعد ان ساعدته في وضع الشرشف عليه وتحسين جلوسه ثم اخذت بعض الوسادات ووضعتها خلف ظهره ثم اردفت قائلة.

«هذا سيكون اريح لك على ما اعتقد».

«نعم شكراً لك».

قربت الصينية اليه وهو ما يزال عارياً من القسم الاعلى كاشفاً عن صدر رائع... دنت منه لتعيد وضع الصينية بشكل يلائم جلوسه... ثم سألته اذا كان بحاجة للمساعدة في تناول طعامه، فأجابها.

«اذا اردت ان تساعديني فلا بأس بذلك، فأنا اريد ان احدثك قليلاً واتمنى ان تجلسي بعض الوقت هنا».

«اذا اردت سأكون الى جانبك متى تشاء فأنا زوجتك».

لقد عنت ليلى بهذا بأنه يحق له ان يطلب منها ما يشاء من امور العاطفة والولوج الى جانبه في السرير فهذا واجبها وهي ستلبي كونها زوجة مخلصة.

«كلا يا ليلى انا لا اقصد هذا، لقد اردت ان اعرف عنك كل شيء ماذا حدث لدى سفري كيف كانت الامور تسير».

«كل شيء على ما يرام، لقد اخذت عنك جميع الاعمال التي اوكلتها الي وهي سلوتي الوحيدة وانا احب القيام بذلك».

«رائع شكراً لك».

«تستطيع ان تستلم الاعمال من الغد».

«كلا انا افضل ان تستمري في عملك هذا انا فعلاً افضل هذا صدقيني».

ثم سألته وهي تناوله كأس من الشاي الساخن بالاضافة الى بعض الجبن الطازج الذي كان يحب دائماً ان يتناوله.

«لقد قرأت كتابك الجديد يا طارق، انه عظيم جداً».

«شكراً لك وهناك ايضاً كتاب سوف اعرضه في الغد في معرض تونس للكتاب الدولي وارجو ان ينال جائزة الكاتب الاول في البلاد العربية».

«انشاء الله، فأنت كاتب جيد وانا اعتقد بأنه سينجح» قالت له بفرح.

«هل استطيع ان اقرأه قبل ان تقدمه الى المعرض».

«نعم اذا اردت فان نسخة منه موجودة معي الآن باستطاعتك قراءته ساعة تشائين».

«شكراً سأفعل الليلة اذا كنت لا تمانع».

نظر اليها نظرة رجل الى امرأة كانت بالماضي الى جانبه بالفراش ولكنه احس بأنها تهرب منه من ذلك الجسد القوي الماثل امامها، فهذه الكلمات اعتبرها هروب من الاندساس الى جانبه.

«ما بك يا ليلى».

«لا شيء، لا شيء».

«هل انت مشتاقة لي».

«بالطبع يا طارق فأنت زوجي ولك كل الحق عليّ».

«ارجوك يا ليلى لا تقولي هذا، انا احب ان تفرضي رأيك بكل صراحة وحرية لماذا تستمرين بالخضوع دائماً».

«نحن نساء يا طارق، والنساء في تونس لا يحق لها بفرض آرائها كما تريد».

«ولكني احبك ان تقرري ما تريدين».

«لا اعلم ربما بعد حين سأستطيع ان آخذ قرار ما».

الفصل العاشر

ارتعش قلبه عندما شعر بأن هذا القرار سيكون طلب الانفصال الابدي عنه احس بأنه سوف تطلب منه الطلاق متى استطاعت النطق بها و لكنه لم يكن بالشيء السعيد بالنسبه له، لقد شعر بشيء غريب تجاهها شيء لم يألفه من قبل وكأنها عاطفة مدفونة منذ سنين في اعماقه اراد ان يقربها من صدره ويعانقها ببطء عندما شعرت ليلى بهذا الشعور ايضاً اتجاهه انسحبت الى الوراء مبتعدة، نظر طارق باستغراب مبعداً صينية الطعام قائلاً.

«الست بحاجة الى رجل يا ليلى لقد مر وقت طويل وانت وحيدة».

«مرض هشام وعملي المستمر انساني بأني امرأة».

«انت عظيمة يا ليلى، انت فعلاً ام تضحي لاجل ولدها».

«وماذا كنت تعتقدني . . . اسرح وامرح بغيابك، انت قاس جداً، لقد تركت لي ما يكفي لملء وحدتي، لم تترك لي مجالاً للاهتمام بنفسي لا من قريب ولا من بعيد لقد كان هشام شغلي الوحيد وعملك في جمع الملفات لاملاكك والمؤسسات ايضاً صعب جداً علي، هل تعتقد ان هذا لا يؤلمني، لقد مرت سنتين

من عمري لم اشعر بها، وهذا بسببك لقد حرمتني من اجمل ايام حياتي، وانت لا تزال كما انت».

«ماذا تريدين يا ليلى، قولي ارجوك، هل تريدين الانفصال عني».

«اعتقد ان هذا سيريحك تماماً».

«ليس تماماً يا ليلى، فأنت غاليتي، ولا تزالين».

«هراء كل هذا هراء، ليس هناك ولا واحد بالمئة ما يدل على ذلك، انت بعيد عني يا طارق ولا تستطيع العودة الى الوراء ولا حتى خطوة واحدة، لقد عانينا ما يكفينا يجب ان نقرر ونحدد ما هو لمصلحتنا».

«مصلحتنا الآن هشام» قال لها طارق، ثم اضاف.

«من مصلحة هشام ان يرانا معاً فهذا سيخفف من عذابه».

«شكراً لك، واخيراً شعرت بمدى حاجة هشام لك».

«اعذريني يا ليلى لم اكن اعي ما افعل، لقد عدت الآن وهذا جيد».

«ولكنك سترحل غداً وهذا سيء لهشام».

«ولك ايضاً يا ليلى اليس كذلك، ان هذا صعب عليك».

اشاحت بنظرها بحزن عندما قال لها هذه الكلمات فقد ايقظ آلامها من ثباتها، ايقظ الحب العميق له.

«لا يحق لك ان تعذبني يا طارق، انت تعلم كم احبك ومدى تعلقي بك».

«نعم اعرف يا عزيزتي ولكن...».

«لا شيء ارجوك لا تقل شيئاً انا لست بحاجة للمبررات ان هذه الامور نوقشت فيما مضى ولسنا بحاجة لاعادة الماضي الآن، نحن

الان في الحاضر وليس هناك ما يربطنا بالماضي».

قالت له عندما اقترب منها اكثر.

«بل يوجد، هناك هشام، انه الماضي والحاضر يا ليلى».

«لماذا تريد ان نعيد ما مضى، هل تريد البقاء هنا».

«كلا انا فقط...».

تلعثم عندما وجد نفسه ينجرف بالكلام واحس بأنه نسي فيفيان تماماً وكأنها فقاعة صابون غابت لساعات عن ذهنه لدى رؤيته ليلى الزوجة الجميلة التي تنتظر وتنتظر دون ان تحظى ولو حتى بلقاء واحد من زوجها.

لقد احس بأنها امرأة قادرة على تحمل المسؤوليات وهي بركان من التضحية العنيفة انها حقاً لا تستطيع ان تتصرف كامرأة حرة لها شخصية فيفيان ولكنها ايضاً لها شخصية اقوى من امرأة حرة مثقفة وشخصية قوية انها امرأة تضج بالعاطفة الصادقة والاحساس بالشعور الامومي القوي والتضحية والقدرة على كبت جماح عواطفها واحاسيسها كامرأة قادرة على السيطرة على نفسها والتحكم بمشاعر المرأة داخل اعماقها انها فعلاً امرأة قوية وهذا ما يشده اليها... قارنها مع فيفيان الفتاة المثقفة المندفعة التي تطلب ما تحتاجه بشغف دون الرجوع الى التقاليد الصارمة للمرأة ولكن زوجته امرأة ناضجة قادرة على حفظ نفسها مئات السنين، ولكن حبه لفيفيان اقوى من تعلقه بزوجته، احب فيها الاشياء التي لم يجدها عند ليلى، لقد كانت حريته التي يبحث عنها وتحريره من القيود التي تلف معصمه لقد كانت امرأة حرة بكل وضوح.

اخذت ليلى الكتاب الجديد وطلبت الاذن للمغادرة استطاع ان يدعها تذهب بعد ان سألها.

«اين ستنامين».

«في غرفة الضيوف لدينا الكثير منها، ولكني سأختار الغرفة التي الى جانبك اذا احتجت الى اي شيء سأكون الى جانبك».

«اذا طلبت منك ان تنامي الى جانبي الآن هل توافقي».

احمر خدا ليلى خجلاً ولكنها استطاعت ان تسيطر على نفسها واجابته.

«لقد قلت لك ان هذا حقك وتستطيع ان تنالني متى تشاء».

«ارجوك لا تقولي هذا، وكأنك جارية لدي، انا احب ان اعرف بماذا تشعرين هل انت مشتاقة لي، هل قلبك يرتجف هل مفاصلك ترقص هل اعماقك تحتاجني».

«لا اعلم... لا اعلم... ارجوك دعني اذهب».

خرجت مسرعة والدموع تغلغل مقلتيها، احس طارق بالحزن والأسى وقال في نفسه.

«لو انها تعترف... لو انها تبوح بما تشعر به لكنت اسعد رجل في العالم انا احب المرأة الحرة الطليقة التي تعبر عن احساسها بشتى الوسائل».

اندس في فراشه من جديد والآن خيال فيفيان لم يبارح افكاره تلك الابتسامة المثيرة عادت الى ذاكرته بكل ما تملك من لذة وشعور بالحب.

اما ليلى فقد تعودت ان تشغل نفسها بالقراءة لتبعد الحزن عنها.

ولكن هذه الليلة لم تستطيع لانها وجدت في الكتاب اشياء واضحة عن امرأة قابعة في خيال طارق، ذلك الكتاب كان وصفاً شاملاً للمرأة التي يحلم بها واعتقدت بأنها بعيدة كل البعد

عنها... انه يصفها بكل كلمة وحرف على سطر وورقة هذه المواصفات بعيدة عنها كثيراً شعرت بالحزن والأسى عرفت بأنها لن تكون داخل قلبه ابداً انه مغرم بامرأة من نسج خياله قابعة في صومعة اعماقه لا تستطيع انتشالها ولو كانت تملك كل قوة على الارض لن تستطيع ان تجعله يحبها.

زادها ذلك الكتاب حزناً وقسوة مما دفعها الى رميه بعنف على جانب السرير وامالت رأسها نحو الوسادة الحريرية وغاصت في دموعها المحرقة وحاولت ان تنام بكل ما تملك من قدرة على النوم، ولكنها فشلت، طارق هنا الى جانبها ولا تستطيع ان تقترب منه... انه هنا وليس بالحلم الجميل انه حقيقة هنا... ولكنه بعيد... بعيد جداً عنها.

عند الصباح استيقظ طارق على رائحة قهوة مثيرة... قفز من سريره ووجد زوجته تحمل صينية موضوع عليها القهوة العربية ثم سألته.

«لقد فكرت بأنك ستحب تناول القهوة معي».

«نعم، صباح الخير اولاً».

«صباح الخير».

«كم انت رائعة هذا الصباح يا ليلى، انك لغريبة حقاً، لاحظت فيك اشياء كثيرة تغيرت، تسريحة شعرك جسدك النحيل، وطريق وضعك للمكياج، انه فعلاً رائع... حتى ان اناقتك اصبحت اروع ايضاً، هل تستعينين بأحد دور الازياء».

ضحكت وقالت له.

«كلا يا عزيزي، انا فقط اصبحت منفتحة اكثر بحكم عملي ومضطرة الى الاعتناء بمظهري اكثر من الاول».

«رائع انت فعلاً مشرقة جداً اليوم».

«يجب علينا ان ننتهي بسرعة من معاملات السفر لان هناك امور اخرى يجب ان تتطلع عليها».

«ما هي هذه الامور الاخرى، تستطيع الانتظار».

«لا، اعتقد ان هناك ملفات واعمال يجب ان تعطي رأيك بها وسن الضروري ان تلقي نظرة عليها».

«اذا كان هذا يرضيك فأنا جاهز».

«لو كنت دائماً بهذا الابتهاج والسعادة، لو كنت دائماً تقوم بما يرضيني لما وصلنا الى هذه المرحلة من زواجنا».

«نا آسف يا ليلى ليس بمقدوري ان اقدم لك شيء».

«اعرف... اعرف وليس هناك من حاجة لتذكيري».

«نهض بسرعة واقترب منها، وضع يديه على كتفيها محاولاً ان يحضنها برفق ولكنها ابعدته بقوة قائلة.

«انا لا اريد شفقتك يا طارق، انا امرأة واستطيع ان اجد الحب ساعة اشاء ولست بحاجة الى رحمتك ومالك، انظر ان هنا في هذه الملفات توجد تقارير ووثائق تفيد بأن ثروتك زادت خمسين بالمئة مما كانت عليه، هذا يعني انك اصبحت تملك المقاطعة كلها».

«اذاً هذا يعود بفضلك يا عزيزتي».

«انا لا اقصد هذا، ولكني اريد ان اجعلك تعلم بأنني لا اهتم بأموالك ولا اراضيك وانا استطيع ان اكسب من عرق جبيني ساعة اريد ولست بحاجة لك... لنا لست بحاجة لك».

«حسناً... حسناً لا تنفعلي ارجوك، انا احب ان اراك هادئة».

«تحب ان تراني هادئة... مع انني دائماً كنت هادئة،

ومطيعة... لماذا يا طارق لقد قدمت لك كل ما تريد، هل لأنني مخلصة لم نستطيع الاستمرار معاً».

«كلا... كلا يا عزيزتي... انت رائعة وامينة ومخلصة وفيك كل ما يتمناه الرجل ولكني انا كنت بحاجة الى التفكير... الوضوح والتخلص من القيود التي رسمها لي والدي منذ طفولتي وهو يقرر مستقبلي ويتلاعب بي كما يحلو له اردت الهرب منه والتصرف بحياتي كما اريد، لقد اشتقت لك كثيراً في غربتي، وعرفت كم انت عزيزة على قلبي وهشام ايضاً... ولكن صدقيني لم اكن قادراً على العودة لانني كنت اشعر بأن هناك شيء ما في داخلي لم يكتمل، شيء ناقص في اعماقي لقد اعتقدت انه الحب في بداية الامر، ولكن الآن عرفت بأنني مليء به لقد كنت بحاجة الى تقرير نفسي وتحريرها من قيود والدي».

«حسناً الآن انت حر... حتى مني، تستطيع ان تطلقني ساعة تشاء فأنا انتظر هذا من ثلاث سنوات».

«لا... لا اعتقد ان هذا هو سبب ازعاجي ورحيلي صدقيني يا ليلى كنت بحالجة الى معرفة لذاتي».

«والبحث عن الحب الحقيقي، هل وجدته يا طارق... كن صريحاً معي... ارجوك».

سألته بلباقة وتفهم.

«انا لن انزعج لو قلت لي الحقيقة صدقني... انا اتفهم وضعك واحب ان تكون سعيداً».

«كلا... انا... لا اعتقد انه الحب...» قال لها متلعثماً.

«وهذا الكتاب... الا يثبت لك شيئاً... انه دليل واضح على علاقة عاطفية عميقة تعيشها ووصف شامل لامرأة تحبها وتعيش في

اعماقك هل تستطيع انكار ذلك».

قالت له بغضب ولكن مخفي محاولة استدراجه بالحديث...

«من الممكن ان يكون هكذا كما تتصورين ولكن الآن لا يوجد احد انا لا اعتقد ان هناك احد ما في اعماقي».

«انت كاذب، مراوغ هل تحاول ان تكسب امرأتين في آن واحد، آه... الآن عرفت، انت يحق لك بأربع نساء... لقد نسيت، اذا كنت تفكر بالزواج من امرأة اخرى هذا حقك ولا استطيع منعك، ولكن تذكر بأنني سأتركك في حال اتخاذك هذا القرار... لانني اريد ان اعيش حياتي براحة تامة واستقرار لقد تعبت من تحمل المسؤولية لوحدي».

الفصل الحادي عشر

شدها نحوه بقوة وحضنها بعنف وراح يقبلها بقبوة حتى افقدها صوابها وهو يتمتم بين شفتيها.

«لقد وجدتك يا غاليتي... لقد كنت بحاجة لك منذ زمن... انا اريدك الآن كما انت عنيفة مثيرة تتخذين القرار الصعب بحكمة انا احب ان تفرضي شخصيتك القوية وان يكون لك الرأي الكامل احب ان تتصرفي بحرية لا تدعيني اشعر وكأنني اسجنك في قفصي».

ثم غمرها بشفاهه من جديد، لم يعد لفيفيان من وجود الآن انها زوجته يحق له ما لا يحق لغيره... امطرها بوابل من القبل الحارقة حتى تراخت ولم تستطيع ان تتفوه بكلمة واحدة... غير مصدقة ما تشعر به لقد تراخت اوصالها وارخت جسدها عليه واصبحت كالعصفور بين عضلاته وهو يشدها اليه بقوة ويتحسس بيديه جسدها النحيل... تمتم من جديد قائلاً لها بصوت مثير.

«احبك... احبك يا غاليتي، لقد احتجت الى هذه المسافات الطويلة لكي احدد ما انا بحاجة له».

ثم عاد العناق ليأخذ مجراه من جديد مما دفع بليلى ان تتعجب

وتقول.

«انا... انا... لا اعرف ما يجري... ولكنك في ذلك الكتاب ذكرت ان امرأة خيالك رائعة الجمال ولا تستطيع وصفها... لقد اعتقدت انك... بعيد... بعيد وانا بعيدة كل البعد عن تلك المرأة».

«لا تفكري بشيء الآن... انت هنا وانا ايضاً واريدك بكل قوتي، انا لك الآن يا زوجتي... افعلي ما تشائين بي، حطميني بين يديك انتشلي من اعماقي تلك الانسانة التي تعشعش في قلبي انا بحاجة لك الآن يا ليلى ساعديني ارجوك».

«لا... لا... لا استطيع ان افعل هذا... هل تعتقدني بلا شعور من هي تلك التي تهرب منها لتلجأ الي».

«لا تضيعي الفرصة يا ليلى انا لك الآن».

«كلا يا طارق انا لا اريد ان اكون دواء لجرحك».

«انا لست عليلاً يا ليلى انا اريدك فقط وبقوة».

لم يدعها تتكلم حملها بين يديه والقى بها على السرير الحريري الدافىء وتقاسما الحب بكل ما يملك من قوة واشتياق تلك السنين، وليس هناك ولا خيط بسيط يذكره بفيفيان فقط ليلى... انها زوجته الآن وهو بشوق عنيف لها.

جلس الى جانبها وهو ينظر اليها بتمتع وهي الى جانبه بجسدها الدافىء ولكنها كانت تدير له ظهرها محاولة اخفاء دموعها المحرقة... احس طارق بأنها تبكي... دفعها نحوه بيديه وقربها من صدره وشعر بدموعها على جلده، رفع رأسها وسألها بوضوح.

«لماذا الدموع يا حبيبتي» سألها.

«لا اعلم... انا لا استطيع ان افهمك... انت غامض

بمشاعرك وتصرفاتك انا لا اعرف ماذا تريد وماذا تحب... لقد اصبحت تائهة في محاولة معرفة ما تشعر به تجاهي ولكن صدقني... انا احبك... احبك بكل اعماقي».

غمرته بقوة وهي متجاهلة شروده البعيد... لقد تذكر فيفيان... لقد كانت نفس الكلمات عندما رحل عنها... واحسى بمدى حبها له... ولكنه... راجع نفسه هل احبها فعلاً، لقد كانت متسرعة... جداً، بمشاعرها واجفلته بتصرفها والآن هو لا يشعر بها انه لا يستطيع ان يفكر بها. هل من المعقول انه لم يحبها ولماذا اذاً وعدها بالعودة وماذا سيقول لها لدى عودته وهل ستستطيع ان تتقبل موقفه الآن عاد الى القلق من جديد... ولكن بشكل آخر استطاع ان يسترجع عائلته وزوجته الضائعة في مخاض آلام الوحدة... فكر من منهما بحاجة له اكثر فيفيان المريضة ام زوجته الوحيدة... ام هشام... ذلك الطفل الذي يعيش على الانابيب والادوية... لقد عاد الى القلق من جديد... استطاعت ليلى ان توقظه من شروده قائلة.

«ما بك يا طارق بما انت شارد».

«لا اعلم ربما بهشام، هناك اعمال يجب علينا ان نقوم بها».

«حسناً هيا اذاً».

نهضا من السرير بلطف وتوجها الى الحمام واخذا دوشاً ساخناً معاً ولاول مرة من ثلاث سنوات تشعر به... نعم انه الآن معها لها... وهي بين يديه بكامل اعماقها وجسدها حضنها تحت الدوش بلطف وهما عاريان تماماً واخذ يفرك جسدها برغوة الصابون المثيرة حتى تلاشت كل الاحاسيس المخيفة بينهما لقد كان طارق الآن هنا وكل شيء بعد ذلك لا يهم... انها معه الآن

بكل قوته وجسده الضخم المسيطر عليها تماماً باحاسيسها المرهفة الوهاجة... لقد ذابت بين يديه من جديد... وذلك بفعل ملامسته لها... على ذلك الجسد الغض وتحت المياه الساخنة التي تزيد من دفء اعماقهما، لم يستطيع تحمل ذلك مما دفعه من جديد الى حملها الى السرير وهما مبللان تماماً غير آبه لما يصيب الشراشف من بلل ما يهمه هو انه يريدها الآن واكثر قوة من قبل... لقد احست ليلى بسعادة عنيفة عميقة وهاجة... وهي تلامس شفتيه... فمها الصغير... غاصت معه في اعماق العاطفة الوهاجة من جديد دون وعي او ادراك وعندما انتهيا من مغامراتهما الرائعة... تذكر فجأة وقام بعنف وقوة عنها وهو يتمتم قائلاً.

«خطأ... خطأ... كل ما نقوم به خطأ...» نظرت اليه ليلى باستغراب وسألته.

«لماذا خطأ يا طارق... ما الخطأ في كوننا معاً».

«الا تتذكرين ما قاله الطبيب بأنه لا نستطيع الاستمرار في انجاب الاطفال ومن الممكن ان تحملي من جديد الآن، يا الهي كيف نسيت هذا...».

اخذ يلعن ويلوم نفسه على هذا الخطأ الفادح... ولكن ليلى ذكرته بأنها تستطيع ان تستشير طبيباً آخر في لندن في حال حدوث الحمل وطمأنته بأن هناك عدة مقالات في كتب قرأتها عن الحمل وانه من الضروري ان هناك طريقة ما للتغلب على التشويه الممكن حدوثه قبل تكوين الجنين تستطيع ان تسأل الطبيب في لندن اذا اردت... لقد كان حديثها واضحاً ومتفهماً... استطاع ان يشعر بقليل من الارتياح والامل من جديد...

«تقصدين بأننا نستطيع ان ننجب اطفال من جديد؟».

«نعم يا حبيبي اذا اراد الله نستطيع ان نملأ المنزل الكبير هذا بهم».

«سيكون هناك خمسة اطفال... انا اريد خمسة اطفال ما رأيك يا ليلى... اريد ان اعوض حرماني منهم اذا كنت موافقة».

«كما تريد يا طارق... انا مستعدة ولكن الأن دعنا نقوم والا سنبقى هنا حتى يوم غد... هناك اعمال يجب ان نقوم بها... هيا يا عزيزي».

ودفعته بقوة محاولة ان تجعله يقف بكسل.

«اولاً هناك كتاب يجب ان يكون قد وصلت النسخ الى المعرض يجب ان تلقي نظرة لانه خلال ايام سوف تعلن النتيجة واريد ان اكون موجوداً، ثانياً هناك اوراق السفر والحجز في لندن يجب ترتيبها» قال طارق.

«وثالثاً هناك الملفات التي يجب عليك مراجعتها... هل نسيت» ذكرته ليلى ثم قالت.

«اذا بقينا في الفراش لن يكون علينا سوى انجاب الاطفال».

ضحك طارق من كل اعماقه لم يكن يعتقد بان ليلى من الممكن ان تكون سبب حزنه وسعادته في آن معاً نظر اليها بقوة وقال.

«انت عظيمة يا ليلى لقد كنت سبب تعاستي وفرحي معاً» ثم اضاف وهو يغمرها من جديد.

«لم اكن اعرف ان حزني وتعاستي هي بسبب شوقي اليك لقد كنت اشعر بلوم لتركك وحيدة صدقيني واعتقدت ان خوفي وهروبي منك كانا بالعكس هذا الالم والتعاسة الأن اكتشفت انها

شوقاً وحباً لك».

ثم اضاف موضحاً لها ما يشعر به وما شعر في الماضي.

«انا الآن حر وغير مقيد بوالدي وما يقرره لي... لقد حققت املي وحلمي في الكتابة... كنت اتمنى ان اكون شاعراً... وها انا الآن احقق احلامي».

ثم نهضا وتوجها نحو مركز الحجز للسفر الى لندن بعدما اوصل ليلى لتلقي نظرة على هشام المنتظر هناك بين الجدران البيضاء بأمل كبير.

عاد طارق الى المستشفى وهو يحمل كل ما يحتاجه الطفل من العاب واشياء مفرحة للقلب... القى التحية على ليلى وهشام معاً... ثم سألته...

«ما هي الاخبار يا طارق... هل تم كل شيء؟».

«نعم في خلال خمسة ايام يجب ان نكون في لندن... وفي هذه الاثناء عليك تجهيز نفسك وتحضير الاشياء التي هشام بحاجة لها في سفره، لقد تفاهمت مع الطبيب بخصوص ذلك».

«رائع الآن يستطيع هشام ان يطمئن اكثر».

اقترب من ولده وقبله بلطف وهو يعتذر له عن البعد الشاق عنه وهو يعده بعدم تركه مجدداً... فرح الطفل لهذه الكلمات وراحا يتحدثان بأشياء لا يفهمها الآ الآباء والاطفال فقط... نظرت ليلى اليهما واخذت عيناها تدمعان من الغرفة الكبيرة التي استطاعت ان تجمع الشمل من جديد... ولكن خوف ما كان يطرق قلبها... احست ان هناك شيء ما لا يزال غامضاً في اعماق طارق من ذلك الشرود الذي يلجأ اليه بين الحين والحين ما هو يا ترى تساءلت عدة مرات ولم تستطيع الاجابة عليه.

اعتذر طارق من جديد من طفله الصغير قائلاً.

«عذراً يا ولدي سوف اعود بعد ساعات ان هناك عمل لي يجب ان اقوم به».

«حسناً يا والدي ولكن لا تتأخر».

«كلا انا اعدك».

ابتعد مودعاً وهو ينظر الى ليلى بعمق راجياً منها البقاء الى جانبه.

دخل الى المكتب المخصص لادارة المعرض وفوجيء بالمدير العام وهو يلقي عليه التهنئة القلبية.

«مبروك يا سيد طارق... لقد حصلت على الجائزة الاولى بكتابك... انت الآن كاتب مشهور... لقد بيعت جميع النسخ ونحن بحاجة الى دفعة جديدة».

«شكراً... شكراً لك».

ثم صافحه بقوة واستلم منه الجائزة بعد لحظات واجتمع بالمندوبين المتخصصين والصحفيين ثم التقتت له عدة صور وبعد عدة مقابلات اجريت معه احس طارق بوهن وتعب وطلب الخروج من هذه الدوشة واعتذر للمندوب الأول عن المعرض وعاد الى منزله وهو يحمل نجاحه بين يديه، وجد سنين وتحقيق الذات.

عاد الى المنزل ليجد ليلى تنتظر وقالت له مبتسمة.

«لقد عرفت انك نلت الجائزة الاولى من الراديو، مبروك يا حبيبي».

«شكراً لك يبقى لدينا في هذا المساء مراجعة الملفات وبعد غد نكون في لندن ما رأيك».

«هذا جيد».

بعد امسية مليئة بالعمل والمراجعة احست ليلى بضرورة الخلود الى النوم لأن طارق بدى متعباً جداً طلبت منه باصرار ان يصعد الى غرفته وافقها الرأي وسارا معاً الى الغرفة وبعد ارتدائه ثياب النوم لم يستطيع ان يقاوم النوم.

ضحكت ليلى من كل قلبها عندما اشار لها بضرورة النوم الى جانبه ورفض ان تذهب الى الغرفة الثانية اندست الى جانبه وغمرته بلطف واضعة رأسه على صدرها، ثم كان للصباح اشراق جميل لم تر مثله ليلى.

خلال ايام وجوده كانت هناك لحظات طفيفة تذكره بفيفيان حاول خلالها ان يتصل بوالدها ليطمئن عليها ولكنه فشل بسبب زحمة الخطوط الهاتفية ومرة صادف ان استطاع ان يكلمه للحظات سأله عن فيفيان وصحتها وفرح لأنها كانت بخير.

استقل الطائرة للعودة الى لندن وكان الى جانبه زوجته ليلى هذه المرة وولده والممرضة... عندما حطت الطائرة كان امله ان يستطيع ايجاد منزل بعيد عن نظر فيفيان... بعد محاولة صعبة استطاع ان يأخذ شقة واسعة ومن ثم ادخل هشام الى المستشفى وباشر الاطباء باجراء الفحوصات اللازمة، كان عليه مواجهة طبيب فيفيان عندما سأله.

«كيف صحة فيفيان يا دكتور».

«لقد كانت عندي منذ يومين... لا اعتقد انها بحاجة الى عملية جراحية الآن فهي تقاوم ولكن ببطء، هل مكتوب عليك ان تكون مهتم بشخصين معاً مصابان بنفس المرض».

«هذا ما اراه يا دكتور اتمنى لهما الشفاء معاً».

في هذه الاثناء كانت فيفيان تقوم بالبحث عن دليل يوصلها الى

عنوان طارق ذهبت الى الفندق وسألت عنه عدة مرات، خافت كثيراً ان يكون اصابه مكروه، فقد طالت غيبته اكثر من شهرين، ولم يتصل بها سألت الرجل المسؤول عن الفندق ولكنه لم يستطيع افادتها بشيء... عادت الى المنزل واتكأت على الاريكة مقابل والدها وقالت له بحزن.

«لقد اشتقت الى طارق يا والدي لماذا لم يتصل».

حزن والدها لحالها وطلب منها الصبر ولكن دموعها رقت له مما شجعه على القول.

«لقد اتصل يا حبيبتي... اتصل عدة مرات، ولكني لم اكن في المكتب ومرة واحدة وجدني وسألني عنك، وهو مشتاق كثيراً لك».

«ولكن يا والدي... لماذا... لماذا... تأخرت لتقول لي... لماذا جعلتني انتظر وانا قلقة... هل هناك سر... ارجوك اريد معرفة؟».

انفعلت وظهر الغضب على وجهها مما دفع والدها الى الخوف عليها والقول بسرعة.

«ارجوك يا ابنتي لا تنفعلي انا... انا».

«انت ماذا يا أبي... لماذا جميعكم خائفون من انفعالي هل اعاني من شيء ما... ارجوك يا والدي ما هو السر الذي تخفيه عني، لماذا لم تخبرني بأن طارق اتصل».

«هو... هو يا ابنتي طلب مني عدم اعلامك، لا اعلم لماذا ولكنه رجاني ان لا اخبرك».

«هل... هل تعتقد بأنه لم يعد يحبني».

«كلا يا حبيبتي انه يحبك ولكن لا اعلم لماذا تأخر».

انفجرت فيفيان بالبكاء المر مما دفعها للغضب والتوتر ثم قالت.

«اني خائفة، خائفة جداً يا والدي، هل مكتوب علي ان اخسر الانسان الذي احب».

وانهارت على الارض دون حراك مما دفع والدها الى النهوض مسرعاً نحوها لحملها بين يديه وهو يتوسل الى الله ان ينقذها، علا صوته وهو ينادي الى نور.

«نور، يا نور، هيا اطلبي الاسعاف».

صرخ بصوت مبحوح عديم القوة.

ركضت نور الى التلفون وطلبت سيارة اسعاف وهي تمسح دمعة ساخنة انسابت من مقلتيها...

بعد لحظات كانت فيفيان في غرفة العناية الفائقة دخل الطبيب مسرعاً لمعالجتها وتجمهرت الممرضات في الداخل وكان والدها قلقاً جداً وهو خارج الغرفة... سمع طارق لدى خروجه من غرفة ولده هشام جلبة قوية احدثتها الممرضات اقترب منهن وسمع احداهن تقول.

«يا للمسكينة انها في عمر الزهور».

طرق قلبه بعنف وشعر بارتجاف اوصاله وكأنه تذكر فيفيان هل يا ترى هي. تساءل في نفسه.. ولكنه فجأة وجد الطبيب داخلاً الى غرفة العناية الفائقة، توجه نحوه وعندما اقترب وجد في الممر الآخر السيد اوليفر والد فيفيان عندها انهارت قواه وعرف ان الفتاة التي تحدثت عنها الممرضة هي فيفيان.

اقترب بهدوء منه وصعق عندما رأى عيناه المبللتان بالدموع.

«لا تقل لي... ارجوك لا تقل انها فيفيان».

«اين كنت يا طارق».

سأله والدموع تنساب برفق من مقلتيه...

«انا... انا...».

الفصل الثاني عشر

لم يستطع ان يتكلم انقطعت انفاسه لشوان عندما عاد الطبيب من الغرفة التي منع الدخول اليها.

«ماذا هناك يا دكتور؟».

«سيد طارق انت ترهق نفسك، ارتاح قليلاً».

قال له الطبيب بهدوء.

«ولكني لا استطيع، كيف هي احوالها؟».

«انها الآن بخير وسوف تستعيد وعيها خلال ساعات».

«شكراً لله... شكراً لك يا دكتور».

«الا يجب ان تلقي نظرة على طارق، هيا تعالى معي انا ذاهب الآن اليه».

دخلا الى غرفة هشام... كانت ليلى جالسة الى جانبه نظر اليها وحياها وعرف انها والدته وتعجب ونظر نحو طارق باستغراب، وعند خروجه رافقه طارق نحو الممر وسأله الطبيب.

«اعتقد انها زوجتك».

«نعم».

«ولكن هل فيفيان تعلم؟».

«كلا».

«الم تخبرها؟».

«لم تسنح لي الفرصة، انها فتاة متسرعة وانجرفت بحبي دون ان استطيع اخبارها، وعندما حاولت فاجأتها نوبة قلبية وكانت المرة الاولى عندها لم استطيع اخبارها».

«انت في ورطة كبيرة».

«انجدني ارجوك، انا احب زوجتي ولا اريد ان اخسر فيفيان».

«لا اعلم ربما اذا عرفت الحقيقة قد تصاب بنوبة اقوى».

«انا خائف جداً ماذا علي ان افعل؟».

«لندع الامور تجري في مسارها».

قال الطبيب ثم اضاف.

«لا تخف سأكون الى جانبك».

خلال ساعات عادت فيفيان الى الدنيا بعد الغيبوبة المؤلمة، وكان طارق مستمراً في السؤال عنها ولم يغادر المستشفى لان هشام في هذه الاثناء دخل الى غرفة العمليات وكان الوضع محرجاً جداً بالنسبة له، فقد طلب من زوجته ان تذهب الى البيت وعند حدوث اي شيء سيتصل بها... فعلت كما امرها.

عندما خرجت عاد طارق الى غرفة العناية الفائقة وبدلاً من ان ينتظر واحد انتظر اثنين... القلق كان مزدوجاً... اقترب الطبيب منه وقال له.

«تستطيع ان تراها الآن، وانا سأكون الى جانبك».

دخل بقلب مرتجف والخوف مسيطر عليه، كيف سيواجهها وهو الذي وعدها بالزواج والحب الابدي.

كانت ممدة والممرضة الى جانبها امرها الطبيب بالخروج عندما

اقترب طارق منها...

«كيف حالك يا عزيزتي» سألها بلطف.

«بخير اين كنت؟».

«لا يهم، المهم اني هنا».

«الحمد لله اني رأيتك قبل ان...؟؟».

ثم سكتت وادارت وجهها عنه والدموع في مقلتيها.

«لا تبكي ارجوك».

«لقد تأخرت وكان من الممكن ان تخسرني».

«لا يحق لك... ارجوك ان لا تتكلمي».

ثم تضاعفت دقات قلبها مما دفع الطبيب لان يأمر بالخروج، خرج وهو حائر كيف يكون سبب الحياة لها والالم في آن معاً.

عاد الى غرفة العمليات ليسأل عن ولده هشام بقلق.

كان ينظر اليه من خلف الغرفة الزجاجية المخصصة للأطباء.

عندما استعادت فيفيان وعيها التام نقلت الى غرفة ثانية تستطيع من خلالها ان تستقبل الزوار.

ولكنها رفضت رؤية طارق لها عدة مرات، مما دفعه الى التساؤل.

اقترب الطبيب من طارق واخبره بأن العملية تمت وهشام بخير ولكن يلزمه اربعة وعشرين ساعة ليتخطى مرحلة الخطر.

استعاد قليلاً من عافيته بعدما ادماه القلق والخوف.

دخل الطبيب الى غرفة فيفيان وسأل عن حالها.

«كيف الاحوال الآن؟».

«احسن بكثير هل استطيع ان اسألك يا دكتور؟».

«نعم تفضلي».

«هل انا مصابة بمرض القلب، لقد شعرت بالالم في صدري مرتين، انا قلبي ضعيف اليس كذلك؟».

«نعم ويجب عليك ان تحافظي على صحتك واعصابك وان تواظبي على الادوية».

«وهل طارق يعرف هذا».

«لا... لا اعلم ربما... اعتقد هذا».

«دعي الامور تأخذ مجراها يا صغيرتي».

«هل هو يتألم؟» سألته فيفيان من جديد.

«هل تعتقدين انه يستطيع تحديد الأمه... انه ضائع... انت الآن اقوى منه... فهو منهار كلياً».

«لماذا... لماذا... هل هو حزين من اجلي؟».

«ربما... ولكن تعالي معي اريد ان اريك شيئاً».

«ما هو؟» سألته ثم قامت على الفور وخرجت معه نحو غرفة هشام ثم اشار لها الطبيب الى هشام الذي كان يغط في نوم عميق.

«انه طفل ما سبب رقوده في السرير؟» سألت فيفيان.

«انه يعاني من القلب، مثلك تماماً، ولقد تخطى عدة نوبات بصعوبة انه يحب الحياة لولا هذا لما استمر حتى الآن، وقد اجريت له عملية صمام قلب مفتوح وهو بحالة غيبوبة اربعة وعشرين ساعة».

قال الطبيب شارحاً.

«يا للمسكين كم هو صغير ولطيف».

ثم خرجت عائدة الى غرفتها.

«اريدك ان تبقي على اتصال به هذا سيساعدك على الاستمرار

في مقاومة مرضك».

«حسناً... اذا كان هذا ما تريد... فأنا احب الاطفال».

عندها طلب الطبيب بعد حين من طارق ان يذهب الى المنزل اربعة وعشرين ساعة مع زوجته ليرتاح قليلاً.

في هذه الاثناء كررت فيفيان زيارتها لهشام وعندما استعاد وعيه اصبحا صديقين حميمين، احست به وبمدى لطافته... عندما دخل الطبيب كان الضحك يملأ الغرفة منهما... دنا منهما وقال.

«حضري نفسك يا فيفيان سوف تدخلين العمليات في لحظات معدودة».

حسناً... حسناً ولكني اريد التشجيع من هذا البطل العربي الذي سبقني اليها».

ثم صرخت بصوت عالي.

«الى المعركة اذاً!».

ثم عاد الابتسام الى ثغريها ولكن هشام اوقفها قائلاً.

«سيفرح والدي كثيراً عندما يعلم بأن لي صديقة مثلك تخضع للعملية».

ومتى سيأتي» سألته فيفيان.

«لا اعلم ربما في الحال» اجاب هشام، ثم اضاف.

«انه جميل جداً وقد شجعني على خوض هذه العملية».

«هذا واضح يا بطلي انا انتظر قدومه ولكن بعد العملية سوف تأتي لزيارتي».

«طبعاً وسأقول لوالدي ان يأتي معي أيضاً».

احبته فيفيان كما لم تحب طفل آخر.

خرجت، ولدى خروجها وعودتها الى غرفتها وجدت طارق

قادماً من بعيد ظنت بأنه آتي لأجلها هرولت اليه وحضنته بلطف وقبلته وقالت.

«حبيبي سوف اعيش لاجلك، انا الأن نشيطة سوف اخضع للعملية بكل جرأة دون خوف... انظر الى تلك الغرفة» اشارت نحو غرفة هشام... «ان في داخلها بطلي الصغير الذي شجعني على الخوض في معركة مع المرض، انه لم يتجاوز الخمسة سنوات من عمره وهو جريء وقوي استطاع ان يتغلب على مرضه».

«حسناً... حسناً يا حبيبتي سوف نعود لرؤيته لاحقاً ادخلي انت».

كان طبيب يسير خلفها مباشرة وسمع ما قالته وضحك لطارق قائلاً.

«ما رأيك هل سننجح» سأله الطبيب.

«لا اعلم اتمنى ذلك الى النهاية» اجابه طارق.

استطاعت بعد ساعات طوال فيفيان ان تخرج من غرفة العمليات منتصرة على مرضها، وفور استعادة وعيها طلبت رؤية هشام الذي علم بخروجها بخير دخل الى غرفتها وجلس الى جانبها وقال لها.

«انهضي ايتها البطلة، لقد جئت اليك...».

«كيف احوالك يا صغيري».

«انا بخير وانت».

«وانا ايضاً».

راح يحدثها عن العابه وحياته الخاصة ووالدته ثم تطرق الحديث الى والدة وقال لها.

«لقد اخبرت والدي عنك وطلبت منه زيارتك».

«ما اسم والدك يا هشام؟».

«انه يدعى الامير طارق».

«ماذا» شهقت فيفيان لدى سماعها اسم طارق... وكان لدخول الطبيب فائدة عظمى في تهدئتها.

«ما بك يا فيفيان لما الانفعال؟».

«لا شيء... لا شيء».

«ماذا قال لك هذا الامير الصغير».

«لا شيء يا سيدي... سوى انني لفظت اسم الامير طارق» قال له الصغير ثم اضاف.

«على كل حال سوف يأتي لرؤيتك».

«نعم يا فيفيان يجب ان تعرفي الحقيقة».

قال لها الطبيب بهدوء ثم طلب من هشام ان يخرج ويأتي بوالده...

دخل طارق الى غرفتها... ولكنها لم تستطع ان تنظر اليه ثم قال لها.

«تستطيعين الآن يا فيفيان ان تعرفي ما عانيت لاجلك، لقد مررت بظروف صعبة، لقد كان ولدي مثلك، ولم استطيع ان اتركه كان بحاجة لي».

«اعرف... اعرف لا تكمل ارجوك».

«انا لم اكذب عليك، ولكني عندما حاولت ان اخبرك بأنني متزوج كانت تلك النوبة القلبية اسرع مني فخفت على حياتك لذلك استمريت في السكوت اني آسف، الآن تستطيعين ان تبدأي من جديد».

«نعم اعرف هذا عندما رأيت هشام احسست بحب كبير نحوه عرفت الآن لماذا انا متعلقة به، عرفت انه ولد عظيم لرجل عظيم... انا المخطئة لقد كنت متسرعة جداً في عواطفي، لم اترك لك المجال للدفاع عن نفسك».

«كلا يا عزيزتي لقد كنت بحاجة الى احد ما ليجعلني اشعر بحبي لعائلتي وجئت انت وجعلتني احقق احلامي بأن اصبح كاتباً، ولكني صدقيني عندما طلبت منك الزواج كنت صادقاً حينها كنت انوي ان اتخلى عن زوجتي لاجلك، ولكني... لم استطع لاجل هشام ولاجلك... لا اريد ان اقدم لك الشفقة كنت احب ان يبقى حبي لك الاقوى لهذا ابتعدت قدر المستطاع».

«هل تعتقد بأنني كنت سأرضى بأن تترك زوجتك وطفلك... كلا يا عزيزي انا لدي ست شقيقات واخاف ان تتعرض اي منهن لما قد تتعرض له زوجتك، لا اريد ان اكون سبب في تعاسة احد... وهل كنت ستعتقد لو انني عرفت عندها سوف ابقى معك... كلا... انا احببت فيك الصدق والرجل المحب الخالي من الانانية.

لو كنت تصرفت هكذا لتغيرت نظرتي نحوك... انا احب هشام وسوف ابقى على حبه وحبك ولن ادمر سعادتكما على حساب سعادتي... عد الى زوجتك وطفلك يا طارق فهم احق بك مني».

«انت عظيمة... عظيمة يا فيفيان».

خرج بعد توديعها وعاد الى طفله وزوجته التي كانت تستعد للعودة الى الوطن ثم غمرهما معاً وسارا على طريق واحدة.

اما فيفيان فقد جلست على الشاطىء تبكي الوحدة والشوق

وكانت عند كل غروب تتذكر طارق بدموع ساخنة . . . انها الآن وحيدة ولكنها سعيدة لاجله . . . سعيدة جداً .

www.elromancia.com
مرموزية